الشقيقات الثلاث

دراما فى أربعة فصول

شخصيات المسرحية

بروزوروف أندريه سرجييفيتش	
نتاليا إيفانوفنا	خطيبته، ثم زوجته فيما بعد
أولجا	
ماشا	شقيقاته
إيرينا	
كوليجين فيودور إيليتش	مدرس ثانوى، زوج ماشا
فيرشينين ألكسندر	مقدم، قائد بطارية مدفعية
توزنباخ نيقولاى لفوفيتش	بارون، ملازم أول
سوليونى فاسيلى فاسيليفيتش	نقيب
تشيبوتيكين إيفان رومانوفيتش	طبيب عسكرى
فيدوتيك ألكسى بتروفيتش	ملازم
رودى فلاديمير كارلوفيتش	ملازم
فيرابونت	حارس من إدارة مجلس الإقليم، عجوز
أنفيسا	مربية، عجوز فى الثمانين

ـ تدور الأحداث فى عاصمة إحدى المحافظات

الفصل الأول

(فى منزل آل بروزوروف غرفة جلوس بأعمدة، يرى خلفها صالة كبيرة. الوقت ظهر. الجو مشمس، مرح. فى الصالة يعدون مائدة الإفطار. أولجا فى فستان كحلى، الزى الرسمى لمدرسات المدارس الثانوية للبنات، طوال الوقت تصحح دفاتر التلميذات وهى واقفة وأثناء السير. ماشا فى فستان أسود، جالسة تقرأ كتابا والقبعة على ركبتيها. إيرينا فى فستان أبيض، تقف مستغرقة فى التفكير)

أولجـــــــا: بابا مات منذ عام بالضبط فى هذا اليوم، الخامس من مايو، فى عيد شفيعتك يا إيرينا. كان الجو شديد البرودة، والثلج يسقط. بدا لى أننى لن أحتمل، وأنت كنت راقدة، مغمى عليك، كالميتة. وها قد مر عام، وإذا نحن نتذكر ذلك بلا مشقة، وأنت فى ثوب أبيض ووجهك متهلل. **(الساعة تدق الثانية عشرة)** وآنذاك دقت الساعة مثلما الآن.

(صمت)

أذكر عندما حملوا بابا عزفت الموسيقى، وأطلقت النار عندالمقابر. كان جنرالا، قائد لواء، ومع ذلك كان عدد المشيعين قليلا. عموما كانت الدنيا تمطر ساعتها، مطر شديد، وثلج.

إيـــريـــنـــا: ما الداعى للتذكر!

(خلف الأعمدة، فى الصلة، بجوار المائدة، يظهر البارون توزنباخ وتشـيبوتيكين وسوليونى)

أولجـــــــــا: اليوم دافئ، يمكن إبقاء النوافذ مفتوحة، لكن البتولا لم تزهر. بابا تولى قيادة اللواء وسافر بنا من موسكو منذ إحدى عشرة سنة، وأنا أذكر جيدا، فى أوائل مايو، فى مثل هذا الوقت، كان كل شىء فى موسكو مزهرا، تغمره الشمـس، والـدفء منتشر. مرت إحدى عشرة سـنة ومـا زلت أذكـر كل شـىء هنـاك، كأنمـا رحلنـا أمس. يا إلهى! استيقظت اليوم ورأيت الربيع، فتحركت الفرحة فى قلبى، وتُقت بشدة للعودة إلى مسقط رأسى.

تشـيبوتيكـين: لن يكون!

تـــوزنـــبـــاخ: بالطبع هراء.

(ماشا مستغرقة فى التفكير مع الكتاب تصفر لحن أغنية)

أولجـــــــــا: لا تصفرى يا ماشا. كيف يمكن!

(صمت)

لأنى أذهب إلى المدرسة كل يوم، ثم أعطى دروسا حتى

المساء لا يفارقنى الصداع، وتنتابنى أفكار، كأنها هرمت حقا. وبالفعل، فخلال هذه السنوات الأربع، منذ أن عملت فى المدرسة وأنا أحس كيف تتسرب منى القوة والشباب كل يوم قطرة قطرة. ولا ينمو ويتعزز إلا أمل واحد..

إيـــريـــنـــا: الرحيل إلى موسكو. بيع البيت والخلاص من كل شىء هنا، ثم إلى موسكو..

أولجـــــــا: نعم إلى موسكو وبسرعة

(تشيبوتيكين وتوزنباخ يضحكان)

إيـــريـــنـــا: أخونا سيصبح أستاذا فى الغالب، ولن يبقى هنا على أى حال. فقط ماشا المسكينة لديها ما يمنعها.

أولجـــــــا: ماشا سوف تأتى إلى موسكو كل سنة لقضاء الصيف.

(ماشا تصفر لحن الأغنية بصوت خافت)

إيـــريـــنـــا: إن شاء الله تسوى الأمور. **(تنظر من النافذة)** الجو جميل اليوم. لا أدرى لماذا أشعر بهذه البهجة! تذكرت فى الصباح أن اليوم عيد شفيعتى فأحسست فجأة بالفرحة وتذكرت الطفولة، عندما كانت ماما لا تزال حية. يا لها من أفكار ساحرة هزتنى، يا لها من أفكار!

أولجـــــــا: أنت اليوم تتهللين، تبدين جميلة بشكل خارق. وماشا أيضا جميلة. أندريه كان يمكن أن يكون جميلا لو لم يسمن كثيرا، وهذا لا يناسبه. أما أنا فهرمت، ونحفت كثيرا،

ربما لأنى أغضب فى المدرسة من البنات. ها أنذا اليوم فى إجازة، فى البيت، فلا أشعر بالصداع، وأحس أننى أصغر مما كنت بالأمس. عمرى ثمان وعشرون سنة، لكن.. كل شيء حسن؛ من عند الله، لكن يبدو لى أننى لو كنت متزوجة، أجلس فى البيت طول النهار، لكان أفضل.

(صمت)

ولأحببت زوجى.

توزنباخ: **(لسوليونى)** أى هراء تقول، مللت سماعك. **(يدخل غرفة الجلوس)** نسيت أن أقول. سيزوركم اليوم قائد بطاريتنا الجديد فيرشينين. **(يجلس إلى البيانو)**

أولجا: حسنا! سعيدة جدا.

إيرينا: أهو عجوز؟

توزنباخ: كلا، معقول. أقصى حد: أربعون، خمسة وأربعون. **(يعزف بصوت خافت)** يبدو أنه فتى طيب. ليس غبيا.. هذا لا شك فيه. فقط كثير الكلام.

إيرينا: أهو طريف؟

توزنباخ: نعم، لا بأس به، فقط عنده زوجة وحماة وبنتان. كما أنه متزوج للمرة الثانية. يقوم بالزيارات، وفى كل مكان يقول إن عنده زوجة وبنتين. وهنا سيقول. زوجته على ما يبدو شبه معتوهة، بضفيرة عذارى طويلة، لا تتفوه إلا بأشياء متحذلقة، تتفلسف، وكثيرا ما تحاول الانتحار، ربما نكاية فى زوجها. لو كنت مكانه لهجرت زوجة كهذه، ولكنه يحتملها، ويشكو فقط.

سـولـيـونـى: **(داخلا من الصالة إلى غرفة الجلوس مع تشـيبوتيكـين)** بيد واحدة أرفع بودا ونصف فقط، وبالاثنتين خمسة بودات، بل وستة. ومن هذا أستنتج أن شخصين هما أقوى من شخص واحد ليس مرتين بل ثلاث، وحتى أكثر.

تشـيبوتيكـين: **(يقرأ صحيفة أثناء سيره)** فى حالة سقوط الشعر.. درهمان نفتالين على نصف زجاجة كحول.. يذوب ويستعمل يوميا.. **(يسجل فى مفكرة)** لنسجل! **(لسوليونى)** هكذا كما قلت لك، تحشر السدادة فى الزجاجة، ويمر عبرها أنبوب زجاجى.. ثم تأخذ قبضة من أبسط أنواع الشبة، العادية جدا..

إيـــريـــنـــا: إيفان رومانيتش، إيفان رومانيتش العزيز!

تشـيبوتيكـين: نعم يا بنيتى، نعم يا حلوتى؟

إيـــريـــنـــا: خبرنى لِمَ أنا سعيدة هكذا اليوم؟ كأنما تحملنى أشرعة، وفوق رأسى سماء واسعة زرقاء وتحلق طيور كبيرة بيضاء. لِمَ هذا؟ لِمَ؟

تشـيبوتيكـين: **(يقبل كلتا يديها، برقة)** أنت طيرى الأبيض..

إيـــريـــنـــا: عندما استيقظت اليوم، ثم نهضت واغتسلت، فجأة أصبح يخيل إلىَّ، أن كل شىء واضح لى فى هذا العالم، وأننى أعرف كيف ينبغى أن أعيش. يا إيفان رومانيتش العزيز، أنا أعرف كل شىء. على الإنسان أن يعمل، أن

يكدح حتى العرق، أيا كان. وفى هذا وحده ينحصر معنى حياته وغايتها، سعادته وأفراحه. ما أجمل أن تكون عاملا، يستيقظ فى الفجر ويكسر الأحجار فى الشارع، أو راعيا، أو معلما يعلم الأطفال، أو سائق قطار.. يا إلهى، ليس إنسانا فحسب، بل الأفضل أن تصبح بغلا، أو مجرد حصان بشرط أن تعمل، من أن تكون امرأة شابة تستيقظ فى الثانية عشرة، ثم تشرب القهوة فى السرير، ثم ترتدى ثيابها ساعتين.. أوه، ما أفظع ذلك! أتحرق إلى العمل كما يتحرق المرء فى يوم قائظ إلى الماء. إذا لم أستيقظ مبكرا وأكدح، فلتتخل عن صداقتك لى يا إيفان رومانيتش.

تشيبوتيكين: **(برقة)** سأتخلى، سأتخلى..

أولجا: بابا عودنا على الاستيقاظ فى الساعة السابعة. والآن تستيقظ إيرينا فى السابعة، وتستلقى فى الفراش للتاسعة على الأقل، وهى تفكر فى شىء ما. ووجهها جدى! **(تضحك)**

إيرينا: تعودتِ على رؤيتى فتاة صغيرة، ولذلك تستغربين عندما يكون وجهى جادا. أنا فى العشرين!

توزنباخ: الحنين إلى العمل، أوه، يا إلهى، كم هو مفهوم لدىَّ! أنا لم أعمل مرة فى حياتى. ولدت فى بطرسبرج، الباردة والفارغة، فى أسرة لم تعرف العمل أبدا ولا أية هموم. أذكر عندما كنت أحضر إلى البيت من الفيلق، كان الخادم ينزع عنى حذائى، وأنا أتدلل ساعتها، بينما تنظر أمى إلىَّ بإجلال، وتدهش عندما ينظر إلىَّ الآخرون

بطريقة مغايرة. كانوا يصونونني من العمل، لكن غالبا لم يتمكنوا من ذلك، غالبا! جاء وقت الشدة. شيء ضخم يزحف علينا جميعا، تتجمع عاصفة عفية شديدة، وهي تسير، وقد اقتربت منا، وعما قريب ستنفض عن مجتمعنا الكسل، واللامبالاة، والتحيز ضد العمل، والملل العفن. أنا سوف أعمل، وبعد ما لا يزيد عن ٢٥ـ ٣٠ سنة سيعمل كل إنسان. كل إنسان!

تشيبوتيكين: أنا لن أعمل.

توزنباخ: أنت لست محسوبا.

سوليوني: بعد حوالى خمس وعشرين سنة لن تكون على قيد الحياة، والحمد لله. فبعد سنتين أو ثلاث ستموت بالسكتة، أو أفقد أعصابى فأضع رصاصة فى جبينك، يا ملاكى، **(يخرج من جيبه قارورة عطر ويعطر صدره ويديه)**

تشيبوتيكين: **(يضحك)** حقا أنا لم أقم بأى عمل أبدا. منذ أن تخرجت من الجامعة لم أحرك ساكنا، حتى لم أقرأ كتابا واحدا، كنت أقرأ الصحف فقط.. **(يخرج من جيبه جريدة أخرى)** مثلا.. أعرف من الصحف أنه كان يوجد دوبرولوبوف مثلا، ولكن ماذا كتب، لا أدرى[1].. الله أعلم..

(تسمع دقات فى الأرضية من الطابق الأسفل)

---

(١) نيقولاى دوبرولوبوف (١٨٣٦ ـ ١٨٦١) أديب وناقد ومفكر من أقطاب الديمقراطيين الثوريين الروس. **المعرب**.

هكذا.. إنهم ينادونني في الأسفل، جاء إليَّ شخص ما. سآتي حالا.. انتظروني.. **(ينصرف بعجلة وهو يمشط لحيته)**

إيــــريــــنـــا: لقد رتب هذا.

تــوزنــبــاخ: نعم. خرج في هيئة احتفالية، يبدو سيحضر لك هدية الآن.

إيــــريــــنـــا: يا له من شيء مزعج!

أولجــــــــا: نعم، فظيع، دائما يرتكب الحماقات.

مـــــاشـــــا: بلوطة خضراء عند شاطئ الأحلام، قد ثبتت في جذعها سلسلة من ذهب..[1] **(تنهض وهي تدندن)**.

أولجــــــــا: أنت اليوم مكتئبة يا ماشا

(ماشا ترتدي القبعة وهي تدندن)

إلى أين؟

مـــــاشـــــا: إلى البيت.

إيــــريــــنـــا: غريبة..

تــوزنــبــاخ: تتركين الحفل!

مـــــاشـــــا: سيان.. سآتي في المساء. وداعا يا عزيزتي.. **(تقبل إيرينا)** تمنياتي لك مرة أخرى، بالصحة، بالسعادة. في السابق عندما كان بابا على قيد الحياة كان يأتينا دائما في عيد الشفيع ثلاثون أو أربعون ضابطا، ويعلو الصخب، أما

---

(١) مطلع قصيدة بوشكين «روسلان ولودميلا». المعرب.

اليوم فيحضر شخص ونصف، ويعم السكون كما فى الصحراء.. سأذهب.. أنا اليوم معتلة المزاج، مكتئبة، فلا تنصتى إلىَّ. **(تضحك من خلال الدموع)** سنتحدث فيما بعد، أما الآن فوداعا يا عزيزتى، سأذهب إلى مكان ما.

إيـــريـــنـــا: **(باستياء)** يا لك من..

أولجــــــــا: **(باكية)** أنا أفهمك يا ماشا.

ســولــيــونــى: إذا تفلسف رجل فذلك فلسفة، أو يعنى سفسطة، ولكن إذا تفلسفت امرأة، بل امرأتان فذلك يعنى: شدنى من إصبعى.

مـــــاشـــــا: ماذا تريد بذلك أن تقول أيها الرجل الرهيب جدا؟

ســولــيــونــى: لا شىء. من قبل أن يفتح فاه دهشة، هاجمه الدب ونهشه[1]

(صمت)

مـــــاشـــــا: **(لأولجا بغضب)** كفى عن النواح!

(تدخل أنفيسا وفيرابونت حاملا تورتة)

أنـــفـــيـــســـا: تعال هنا يا أبتاه، ادخل، قدماك نظيفتان. **(لإيرينا)** من مجلس الإقليم، من بروتوبوبوف، ميخائيل إيفانيتش.. كعكة.

إيـــريـــنـــا: شكرا. اشكريه. **(تتناول التورتة)**.

---

(١) من أمثولة (الفلاح والدب) للأديب إيفان كريلوف (١٧٦٩ ـ ١٨٤٤) الذى اشتهر بالقصص الشعرية عن الحيوانات والطيور والتى ضمنها نقدا للأوضاع القائمة وعبرا ومواعظ. المعرب.

فــيرابــونــت: هــه؟

إيـــريـــنـــا: **(بصوت أعلى)** اشكريه!

أولجـــــــــا: يا دادة، أعطيه قطعة كعك. فيرابونت، اذهب، سيعطونك كعكا هناك.

فــيرابــونــت: هـــه؟

أنــفــيــســا: هيا يا فيرابونت سبيريدونيتش.. هيا **(تخرج مع فيرابونت)**

مـــــاشـــــا: لا أحب بروتوبوبوف هذا، ميخائيل بوتابتش أو إيفانيتش. لا داعى لدعوته.

إيـــريـــنـــا: أنا لم أدعه.

مـــــاشـــــا: عظيم.

(يدخل تشيبوتيكــين ومن خلفه جندى يحمل سماورا فضيا، لغط دهشة واستنكار)

أولجـــــــــا: **(تغطى وجهها بيديها)** سماور! هذا فظيع! **(تخرج إلى الصالة نحو الطاولة).**

(إيرينا، توزنباخ وماشا يقولون فى صوت واحد)

إيـــريـــنـــا: إيفان رومانيتش، يا عزيزى،ماذا تفعل!

تـــوزنـــبـــاخ: **(يضحك)** ألم أقل لك.

مـــــاشـــــا: إيفان رومانيتش، هذا غير معقول!

تشـيبوتيكـــين: يا عزيزاتى، يا جميلاتى، لا أحد لدى غيركن، أنتن عندى أغلى من أى شىء فى الدنيا. قريبا أبلغ الستين،

أنا عجوز، وحيد، عجوز بائس.. ليس فىَّ أى شىء طيب غير هذا الحب لَكُنَّ. ولولا أنتن لما كنت على قيد الحياة من زمن طويل.. **(لإيرينا)** يا بنيتى، يا عزيزتى، أنا أعرفك منذ مولدك.. حملتك على يدىَّ.. كنت أحب المرحومة أمك..

إيـــريـــنـــا: ولكن **لا داعى لهذه الهدايا الغالية!**

تشـيبوتيكـين: **(من خلال الدموع، بغضب)** هدايا غالية.. عيب عليكن**!** **(للجندى)** احمل السماور إلى هناك **(مقلدا)** هدايا غالية..

(الجندى يحمل السماور إلى الصالة)

أنـفـيـسـا: **(مارة عبر غرفة الجلوس)** يا بناتى، عقيد **لا** أعرفه، نزع المعطف وقادم إلى هنا يا بناتى. أرينوشكا، كونى رقيقة، مؤدبة.. **(ذاهبة)** آن أوان الإفطار من زمان.. يا إلهى.

تـوزنـبـاخ: لا بد أنه فيرشينين.

(يدخل فيرشينين)

المقدم فيرشينين**!**

فـيرشـيـنـين: **(لماشا وإيرينا)** أتشرف بتقديم نفسى: فيرشينين. سعيد جدا، جدا بزيارتكم أخيرا. كيف أصبحتما**!** أوه**!**

إيـــريـــنـــا: تفضل بالجلوس. سعداء جدا.

فـيرشـيـنـين: **(بمرح)** كم أنا سعيد، كم أنا سعيد**!** ولكن أنتن ثلاث

شقيقات. نعم، أذكر، ثلاث فتيات. لا أذكر الوجوه، ولكن أذكر جيدا، ورأيت بعينى، أنه كان لدى أبيكن، العقيد بروزوروف، ثلاث بنات صغيرات. ما أسرع مرور الزمن! أوه، ما أسرع مرور الزمن!

تـوزنـبـاخ: ألكسندر أجناتيفيتش قادم من موسكو.

إيـريـنـا: من موسكو؟ أنت من موسكو؟

فـيرشـيـنـين: نعم، من هناك. المرحوم والدك كان قائد بطارية هناك، وكنت أنا ضابطا فى نفس اللواء. **(لماشا)** وجهك أنت أذكره قليلا، أظن.

مـاشـا: أما أنا فلا أذكرك!

إيـريـنـا: أوليا، أوليا! **(تصيح نحو الصالة)** أوليا،

(أولجا تدخل من الصالة إلى غرفة الجلوس)

المقدم فيرشينين، ظهر أنه من موسكو.

فـيرشـيـنـين: إذن فأنت أولجا سرجييفنا، الكبرى.. وأنت ماريا.. وأنت إيرينا.. الصغرى..

أولجـا: وأنت من موسكو؟

فـيرشـيـنـين: نعم. درست فى موسكو، وبدأت الخدمة فى موسكو، وخدمت هناك طويلا، وأخيرا عينت قائد بطارية هنا فجئت إلى هنا كما ترين. أنا فى الواقع لا أذكركن، أذكر فقط أنكن ثلاث شقيقات. والدكن بقى فى ذاكرتى، لو أغمض عينى أراه أمامى، كأنه حى. كنت أزوركم فى موسكو..

أولجـــــــــا: كنت أظن أنى أذكر الجميع، وفجأة..

فـيرشـيـنـين: اسمى ألكسندر أجناتيفتيش..

إيـــريـــنـــا: ألكسندر أجناتيفيتش، أنت من موسكو.. يا للمفاجأة!

أولجـــــــــا: نحن سننتقل إلى هناك.

إيـــريـــنـــا: نعتقد أننا فى الخريف سنكون هناك. إنها مدينتنا الحبيبة.. مسقط رأسنا.. ولدنا فى شارع ستاريا بسمانايا..

(تضحكان من الفرحة)

مـــــاشـــــا: فجأة رأينا بلدينا. **(بحيوية)** الآن تذكرت! أتذكرين يا أوليا، كانوا يقولون عندنا: «الرائد العاشق». كنت حينذاك ملازما، وكنت مغرما بفتاة ما، ولسبب ما كانوا يغيظونك «رائدا»..

فـيرشـيـنـين: **(يضحك)** نعم.. نعم.. الرائد العاشق.. هو كذلك..

مـــــاشـــــا: كنت آنذاك تحمل شاربا فقط.. أوه، كم هرمت! **(من خلال الدموع)** كم هرمت!

فـيرشـيـنـين: نعم، عندما كانوا يسموننى الرائد العاشق كنت شابا بعد، عاشقا. والآن لم أعد كذلك.

أولجـــــــــا: ولكن ليس لديك شعرة شائبة واحدة بعد. لقد هرمت، ولكنك لست عجوزا.

فـيرشـيـنـين: ولكنى فى الثالثة والأربعين. من زمان تركتم موسكو؟

إيـــريـــنـــا: منذ إحدى عشرة سنة. ماشا، ما أغربك، لِمَ تبكين.. **(من خلال الدموع)** أنا أيضا سأبكى..

مـــــاشـــــا: أنا لا بأس. وفى أى شارع كنت تسكن ؟

فـيرشـيـنـين: فى ستاريا بسمانايا.

أولجــــــا: ونحن فى نفس الشارع..

فـيرشـيـنـين: فى وقت ما كنت أسكن فى شارع نيميتسكايا. ومن شارع نيميتسكايا كنت أسير إلى ثكنات كراسنبى. كان فى الطريق جسر كئيب، وتحت الجسر تصخب المياه. كان السائر وحده يصبح حزينا.

(صمت)

أما هنا فالنهر واسع، يا له من نهر غزير! نهر رائع!

أولجــــــا: نعم، ولكن الجو بارد. هنا برد وبعوض..

فـيرشـيـنـين: ماذا تقولين! المناخ هنا مناخ سلافى، صحى، جيد. الغابة والنهر.. وهنا أيضا أشجار بتولا. البتولا الرقيقة، المتواضعة، أحبها أكثر من أى أشجار أخرى. الحياة هنا جيدة. ولكن الشىء الغريب أن محطة السكة الحديدة على بعد عشرين كيلومترا.. ولا أحد يعرف لماذا هكذا.

سـولـيـونـى: أنا أعرف لماذا هكذا.

(الجميع يتطلعون إليه)

لأنه لو كانت المحطة قريبة، لما كانت بعيدة، وإذا كانت بعيدة، فهى إذن ليست قريبة.

(صمت محرج)

تـوزنـبـاخ: فاسيلى فاسيليتش يحب المزاح.

أولجـــــــــا: الآن تذكرتك أنا أيضا. أذكرك.

فــيرشــيــنــين: كنت أعرف والدتكن.

تشــيبوتيكــين: كانت طيبة، عليها الرحمة.

إيـــريـــنـــا: ماما مدفونة فى موسكو.

أولجـــــــــا: فى مقبرة دير نوفو ديفيتشى..

مـــــاشــــــا: تصور، بدأت أنسى ملامحها. ونحن أيضا لن يذكرنا أحد. سينسوننا.

فــيرشــيــنــين: نعم. سينسون. هذا قدرنا، ما باليد حيلة ما يبدو لنا جديا، ذا وزن، مهما جدا، سوف ينسى مع الزمن أو سيبدو غير هام.

(صمت)

والطريف أننا لا نستطيع الآن أبدا أن نعرف ما الذى سوف يعد، فى الحقيقة، ساميا، هاما، وما الذى سيعد تافها ومضحكا. ألم يعتبر اكتشاف كوبرنيك، أو كولومبس مثلا، لا ضرورة له ومضحكا فى أول الأمر، بينما بضع كلمات فارغة كتبها شخص غريب الأطوار، بدت وكأنها الحقيقة؟ وقد يحدث بمرور الوقت أن تبدو حياتنا الراهنة التى ألفناها تماما، غريبة، مزعجة، غبية، غير طاهرة كما يجب، بل وربما خاطئة..

تـــوزنـــبــــاخ: من يدرى؟ وربما وصفوا حياتنا بأنها سامية وتذكروها باحترام. لم يعد هناك الآن تعذيب، ولا إعدامات، ولا غزوات، ومع ذلك فما أكثر الآلام!

سوليوني: **(بصوت رفيع)** كت.. كت.. كت.. البارون يفضل أن تدعه يتفلسف على أن تطعمه خبزا.

توزنباخ: فاسيلي فاسيليتش، أرجوك أن تدعني وشأني.. **(ينتقل إلى مكان آخر ويجلس)** هذا ممل في النهاية.

سوليوني: **(بصوت رفيع)** كت.. كت.. كت..

توزنباخ: **(لفيرشينين)** الآلام التي تلاحظ الآن - وما أكثرها! - تشير مع ذلك إلى نوع من النهضة الأخلاقية التي حققها المجتمع..

فيرشينين: نعم، نعم، طبعا.

تشيبوتيكين: لقد قلت من توك يا بارون سيصفون حياتنا بأنها سامية. ولكن الناس مع ذلك واطئون.. **(ينهض)** انظروا كم أنا واطئ. لتعزيتي ينبغي أن يقال إن حياتي سامية، هذا مفهوم.

(عزف على الكمان خلف المسرح)

ماشا: أندريه يعزف، شقيقنا.

إيرينا: إنه عالم، سيصبح أستاذا في الغالب. كان بابا عسكريا، بينما اختار ابنه السلك العلمي.

ماشا: حسب رغبة بابا

أولجا: اليوم غظناه. يبدو أنه عاشق قليلا.

إيرينا: لإحدى الآنسات هنا. ستأتي اليوم، على الأرجح.

ماشا: أوه، كيف تختار ثيابها! ليست المسألة في قبح الثياب أو

عدم الموضة، بل شيء يثير الرثاء. تنورة غريبة، زاهية، تميل إلى الصفرة، بهداب سوقى مبتذل، وبلوزة حمراء. وخداها مغسولان جدا، جدا! أندريه ليس عاشقا، أنا لا أظن، فلديه مع ذلك ذوق، بل إنه هكذا، يغيظنا، يتشاقى. سمعت بالأمس أنها ستتزوج بروتوبوبوف رئيس مجلس إقليمنا. عظيم إذن.. **(نحو الباب الجانبى)** أندريه، تعال هنا! يا عزيزى. دقيقة واحدة!

(يدخل أندريه)

أولجـــــا: هذا أخى، أندريه سرجييتش.

فيرشينين: فيرشينين.

أنـــدريـــه: بروزوروف. **(يمسح العرق من وجهه)** عينت هنا قائد بطارية؟

أولجـــــا: لك أن تتصور، ألكسندر أجناتيفيتش من موسكو.

أنـــدريـــه: حقا؟ إذن أهنئك، شقيقاتى لن يدعنك فى حالك.

فيرشينين: لقد أضجرت شقيقاتك بالفعل.

إيـــريـــنـــا: انظروا أى إطار صورة أهدانيه أندريه اليوم. **(تريهم الإطار)** صنعه بنفسه.

فيرشينين: **(ينظر إلى الإطار ولا يدرى ماذا يقول)** نعم.. جيد..

إيـــريـــنـــا: وهذا الإطار، فوق البيانو، هو أيضا صنعه.

(أندريه يشيح بيده ويبتعد)

أولجـــــا: أخونا عالم، ويعزف على الكمان، ويصنع من الخشب

شتى الأشياء، باختصار: سبع صنع. أندريه لا تذهب! من عادته دائما أن يذهب. تعال هنا!

(ماشا وإيرينا تضعان ذراعيه فى أذرعهما وتسحبانه إلى الوراء ضاحكتين)

مـــاشـــا: اذهب، اذهب!

أنـــدريـــه: اتركانى، لو سمحتما.

مـــاشـــا: كم أنت مضحك! كانوا يدعون ألكسندر أجناتيفيتش فى وقت ما الرائد العاشق، ولكنه لم يغضب أبدا.

فـيرشـيـنـين: أبـدا!

مـــاشـــا: وأنا أريد أن أدعوك: العازف العاشق!

إيـــريـــنـــا: أو الأستاذ العاشق!..

أولجـــــا: إنه عاشق! أندريوشا عاشق!

إيـــريـــنـــا: **(تصفق)** برافوا، برافو! أعد! أندريوشكا عاشق!

تشـيبوتيكـين: **(يقترب من خلف أندريه ويمسك خصره بكلتا يديه)** للحب وحده قد أنجبتنا أمنا الطبيعة! **(يقهقه. لا يفارق الصحيفة)**.

أنـــدريـــه: طيب، كفاية.. **(يمسح وجهه)** لم أنم طول الليل، والآن أشعر أنى منرفز، كما يقال. قرأت حتى الرابعة ثم رقدت لكن فشلت فى النوم. فكرت فى هذا وذاك، وإذا بالفجر المبكر، ثم هجمت الشمس على غرفتى. أريد خلال الصيف، وأنا هنا، أن أترجم أحد الكتب من الإنجليزية.

فـيرشـيـنـين: وهل تقرأ بالإنجليزية؟

أنـــدريـــه: نعم. والدنا، عليه الرحمة، اضطهدنا بالتربية. إنه لشيء مضحك وأحمق، ولكن ينبغي أن أعترف به.. فبعد وفاته أخذت ازداد وزنا حتى سمنت فى عام واحد، كأنما تخلص جسمى من الاضطهاد. بفضل والدنا أعرف أنا وشقيقاتى اللغات الفرنسية والألمانية والإنجليزية، أما إيرينا فتعرف فوق ذلك الإيطالية. ولكن كم كلفنا ذلك!

مـــاشـــا: أن تعرف ثلاث لغات.. ترف لا لزوم له فى هذه المدينة. ليس حتى ترفا، بل زيادة لا لزوم لها، كالإصبع السادس. إننا نعرف أشياء زائدة كثيرة.

فـيرشـيـنـين: ما هذا الكلام! (**يضحك**) تعرفن أشياء زائدة كثيرة! برأيى أنه لا توجد مدينة مملة وكئيبة لا يكون مطلوبا فيها الشخص الذكى المثقف. لنفرض أنه لا يوجد بين سكان هذه المدينة مائة الألف، المتخلفين والأفظاظ بالطبع، سوى ثلاثة أشخاص مثلكن. من المفهوم طبعا أنكن لن تستطعن التغلب على الكتلة المختلفة المحيطة بكن. فخلال حياتكن سيكون عليكن شيئا فشيئا أن تتراجعن وتذبـن فى الكتلـة ذات مائة الألف، وستطغى عليكـن الحيـاة، ومـع ذلك فلن تختفين، ولن تذهبن بـلا أثـر. بعدكـن سيظهر مثلكـن ربما ستة، وبعدهم

اثنا عشر، وهكذا دواليك، إلى أن يصبح أمثالكن، أخيرا، هم الأغلبية. بعد مائتين، أو ثلاثمائة سنة ستصبح الحياة على الأرض رائعة، مدهشة بشكل لا يُتصوَّر. الإنسان بحاجة إلى مثل هذه الحياة، فإذا لم تكن الآن متوفرة، فعلية أن يتنبأ بها، أن ينتظرها، يحلم بها، ويستعد لها، ومن أجل هذا عليه أن يرى ويعرف أكثر مما رآه وعرفه جده وأبوه. (**يضحك**) وأنتن تشتكين من أنكن تعرفن أشياء زائدة كثيرة.

ماشا: (**تنزع قبعتها**) سأبقى للإفطار.

إيرينا: (**متنهدة**) فى الحقيقة كان ينبغى تسجيل هذا..

(أندريه غير موجود، خرج خفية)

توزنباخ: تقول إن الحياة على الأرض بعد سنين طويلة ستكون رائعة، مدهشة. هذا صحيح. ولكن لكى تشارك فيها الآن، ولو من بعيد، ينبغى أن تستعد لها، ينبغى أن تعمل..

فيرشينين: (**ناهضا**) نعم. أوه، ما أكثر الأزهار عندكم! (**يطوف بنظره**) والشقة بديعة. أغبطكم! أما أنا فقضيت حياتى فى شقق بكرسيين وكنبة واحدة وبمدافئ تنفث الدخان دائما. فى حياتى كانت تنقصنى بالذات زهور كهذه.. (**يفرك يديه**) إيه! طيب، لا يهم!

توزنباخ: نعم، ينبغى أن تعمل. ربما تقول لنفسك: هذا الألمانى

يتحمس. ولكنى روسى، بشرف، بل ولا أتكلم الألمانية. أبى أرثوذوكسى..

(صمت)

فـيرشـيـنـين: **(يذرع المسرح)** إننى كثيرا ما أفكر: ماذا لو نستطيع أن نبدأ الحياة من جديد، وبوعى؟ لو أن الحياة الأولى، التى عشناها، كانت، كما يقال، مسودة، والحياة الثانية على بياض! أظن أن كلا منا سيحاول قبل كل شىء ألا يكرر نفسه، على الأقل سيحاول أن يخلق لنفسه ظروفا أخرى للحياة، سيحاول أن يصنع لنفسه شقة كهذه بأزهار، وبكمية كبيرة من الضوء.. أنا عندى زوجة، وبنتان صغيرتان، كما أن زوجتى سيدة مريضة وخلافه وخلافه، ولو أنى بدأت الحياة من جديد لما تزوجت.. كلا، كلا!

(يدخل كوليجين فى زى المدرسين الرسمى)

كـولـيـجـين: أختى العزيزة اسمحى لى أن أهنئك بعيد شفيعتك، وأتمنى لك بإخلاص، من صميم القلب، الصحة وكل ما يمكن أن يتمناه المرء لفتاة فى عمرك. ولتسمحى لى أن أهديك هذا الكتاب. **(يقدم لها كتابا)** تاريخ مدرستنا خلال خمسين عاما، كتبته بنفسى. كتاب فارغ، كتب من الملل. ومع ذلك اقرئيه. مرحبا يا سادة! **(لفيرشينين)** كوليجين، مدرس بالمدرسة المحلية. مستشار أهلى[1].

---

(١) رتبة مدنية من الدرجة السابعة فى روسيا القيصرية كانت تعادل رتبة المقدم العسكرية. المعرب.

(لإيرينا) ستجدين فى هذا الكتاب قائمة أسماء كل خريجى مدرستنا خلال الخمسين عاما الماضية. Feci quod potui, faciant meliora potentes [1] **(يقبل ماشا).**

إيـــريـــنـــا: ولكنك أهديتنى كتابا مثله فى عيد الفصح.

كـولـيـجـين: **(يضحك)** لا يمكن! فى هذه الحالة أعيديه إلىَّ، أو الأفضل أن تعطيه للعقيد. خذه يا عقيد. قد تقرأه فى يوم ما من الملل.

فـيرشـيـنـين: أشكرك. **(يهم بالذهاب)** أنا سعيد للغاية بالتعرف..

أولجـــــا: أنت ذاهب؟ كلا، كلا!

إيـــريـــنـــا: ستبقى عندنا للإفطار. من فضلك.

أولجـــــا: أرجوك!

فـيرشـيـنـين: **(ينحنى)** يبدو أننى جئت فى عيد شفيعتك. أرجو المعذرة، لم أكن أعرف، ولم أهنئك.. **(يخرج مع أولجا إلى الصالة).**

كـولـيـجـين: اليوم يا سادة يوم الأحد، يوم الراحة، فلنسترح إذن، وسوف نمرح، كل حسبما يتفق وسنه ومكانته. ينبغى رفع السجاجيد صيفا وحفظها حتى الشتاء.. بالبودرة الفارسية أو بالنفتالين.. كان الرومان أصحاء لأنهم كانوا يعرفون كيف يكدحون وكيف يستريحون. كان

---

(١) فعلت ما أستطيع، فليفعل أحسن من يقدر. (باللاتينية فى الأصل).

عندهم mens sana in corpore sano [1] كانت حياتهم تسير حسب أشكال معروفة. مديرنا يقول: أهم شيء فى أى حياة هو شكلها.. ما يفقد: شكله ينتهى، وفى حياتنا العادية نفس الأمر. **(يمسك بخصر ماشا ضاحكا)** ماشا تحبنى. زوجتى تحبنى. وستائر النوافذ أيضا إلى حيث السجاجيد.. أنا اليوم مرح، فىَّ مزاج روحى ممتاز. ماشا، فى الساعة الرابعة اليوم سنجتمع عند المدير. ستقام نزهة للمدرسين وعائلاتهم.

ماشا: لن أذهب.

كوليجين: **(محزونا)** ماشا العزيزة، لماذا؟

ماشا: فيما بعد نتكلم.. **(بغضب)** طيب، سأذهب، فقط دعنى، أرجوك.. **(تبتعد)**.

كوليجين: ثم نقضى المساء عند المدير. هذا الرجل، رغم حالته المرضية، يسعى قبل كل شيء إلى أن يكون اجتماعيا. شخصية رائعة، مشرقة، إنسان عظيم. بالأمس قال لى بعد جلسة المجلس: «تعبت يا فيدور إيليتش، تعبت!» **(يتطلع إلى ساعة الحائط ثم إلى ساعته)**. ساعتكم متقدمة سبع دقائق. نعم، تعبت، قال لى.

(خلف المسرح عزف على الكمان)

أولجا: يا سادة لو تكرمتم، تفضلوا إلى الإفطار! الكعكة!

---

(١) العقل السليم فى الجسم السليم (باللاتينية فى الأصل).

كـولـيـجـين: آه، يا أولجا العزيزة، يا عزيزتى! بالأمس اشتغلت من الصباح حتى الحادية عشرة مساء، تعبت، واليوم أشعر بالسعادة. (**يخرج إلى الصالة، إلى المائدة**) يا عزيزتى..

تشـيبوتيكـين: (**يضع الصحيفة فى جيبه ويمشط لحيته**) كعكة؟ عظيم!

مـــاشـــا: (**لتشـيبوتيكـين بصرامة**) أحذرك، إياك أن تشرب اليوم، أتسمع؟ الشرب مضر لك.

تشـيبوتيكـين: لا! انتهى ذلك. منذ سنتين لم أغرق فى الشراب. (**بفروغ صبر**) إيه، سيدتى، أليس سيان!

مـــاشـــا: ومع ذلك إياك أن تشرب. إياك. (**بغضب ولكن بحيث لا يسمعها زوجها**) يا للشيطان، مرة أخرى سنضجر طول المساء عند المدير!

تـوزنـبـاخ: لو كنت مكانك لما ذهبت.. بكل بساطة.

تشـيبوتيكـين: لا تذهبى يا روحى..

مـــاشـــا: لا تذهبى، ما أسهل القول.. هذه الحياة لعينة، لا تطاق.. (**تذهب إلى الصالة**).

تشـيبوتيكـين: (**يتبعها**) لا تقولى!

سـولـيـونـى: (**مارا إلى الصالة**) كت.. كت.. كت..

تـوزنـبـاخ: كفى يا فاسيلى فاسيليتش. كفى!

سـولـيـونـى: كت.. كت.. كت..

كـولـيـجـين: **(بمرح)** فى صحتك يا عقيد**!** أنا مدرس، ومن أهل البيت، زوج ماشا.. إنها طيبة، طيبة جدا..

فـيرشـيـنـين: سأشرب من هذه الفودكا الداكنة.. **(يشرب)** فى صحتك**!** **(لأولجا)** كم أشعر بالراحة عندكم**!**..

(يبقى فى غرفة الجلوس إيرينا وتوزنباخ فقط)

إيـــريـــنـــا: ماشا معتلة المزاج اليوم. لقد تزوجت وهى فى الثامنة عشر، عندما كان يبدو لها أذكى رجل. والآن تغير الحال. إنه أطيب رجل ولكنه ليس أذكى رجل.

أولجـــــــــا: **(بفروغ صبر)** أندريه، تعال إذن**!**

أنـــــدريـــــه: **(خلف المسرح)** حالا. **(يدخل ويتجه إلى المائدة)**.

تـــوزنـــبـــاخ: فيم تفكرين؟

إيـــريـــنـــا: هكذا. أنا لا أحب صاحبك سوليونى وأخشاه. إنه لا يتفوه إلا بالحماقات..

تـــوزنـــبـــاخ: إنه شخص غريب. أنا أرثى له، وأسخط عليه، ولكنى أرثى له أكثر. يخيل إلى أنه خجول.. عندما نكون أنا وهو وحدنا، يصبح إنسانا ذكيا جدا وودودا، أما فى المجتمع فهو إنسان فظ، من هواة المبارزات. لا تذهبى الآن، دعيهم يجلسون إلى المائدة. اسمحى لى أن أبقى بجوارك. فيم تفكرين؟

(صمت)

عمرك عشرون سنة، وأنا لم أبلغ بعد الثلاثين. كم سنة

بقيت لنا فى المستقبل، صف طويل، طويل من الأيام المليئة بحبى لك..

إيـــريـــنـــا: نيكولاى لفوفتش، لا تكلمنى عن الحب.

تـــوزنـــبـــاخ: **(لا يصغى إليها)** أنا أشعر بظمأ جارف إلى الحياة، إلى النضال، إلى العمل، وهذا الظمأ قد امتزج فى روحى بحبى لك يا إيرينا، وأنت رائعة، كأنما عن عمد، والحياة تبدو لى جد رائعة. فيم تفكرين؟

إيـــريـــنـــا: أنت تقول: حياة رائعة. نعم، وما العمل إذا كانت فقط تبدو كذلك! حياتنا نحن الشقيقات الثلاث لم تكن حتى الآن رائعة، لقد طغت علينا كالأعشاب الطفيلية.. دموعى تسيل.. لا داعى لهذا.. **(تمسح وجهها بسرعة، تبتسم)** ينبغى أن نعمل، أن نعمل. إننا نشعر بالكآبة وننظر إلى الحياة بهذا العبوس لأننا لا نعرف العمل. لقد ولدنا من أناس يحتقرون العمل..

(تدخل نتاليا إيفانوفنا. فى فستان وردى وحزام أخضر)

نـــتـــاشـــا: بدأوا يتناولون الإفطار هناك.. لقد تأخرت.. **(تنظر إلى المرآة بسرعة وتسوى شعرها)** يبدو أن التسريحة ليست سيئة.. **(وقد رأت إيرينا)** إيرينا سرجييفنا العزيزة، تهانىَّ! **(تقبلها بقوة قبلة طويلة)** عندكم ضيوف كثيرون، إننى خجلة فى الحقيقة.. مرحبا يا بارون!

أولجـــــــا: **(تدخل غرفة الجلوس)** وها هى نتاليا إيفانوفنا. مرحبا يا عزيزتى.

(تتبادلان القبلات)

نـــتــــاشـــا: أهنئكم. عندكم ضيوف كثيرون، إننى خجلة جدا..

أولجـــــــا: دعيك من هذا، لا أحد غريب. **(بصوت خافت، بفزع)** تضعين حزاما أخضر! يا عزيزتى، هذا ليس طيبا!

نـــتــــاشـــا: هل فى ذلك علامة شؤم؟

أولجـــــــا: كلا، ببساطة لا يليق.. ثم إنه غريب..

نـــتــــاشـــا: **(بصوت باك)** حقا؟ ولكنه ليس أخضر، بل أقرب إلى الداكن. **(تمضى إلى الصالة فى أثر أولجا)**.

(فى الصالة يشرعون فى الإفطار. لا أحد فى غرفة الجلوس)

كـولـيـجـين: أتمنى لك يا إيرينا عريسا جيدا. آن لك أن تتزوجى.

تشـيبوتيكـين: نتاليا إيفانوفنا، ولك أتمنى عريسا.

كـولـيـجـين: نتاليا إيفانوفنا لديها بالفعل عريس.

مـــاشـــا: **(تدق الشوكة على الطبق)** سأشرب كأسى نبيذ! آه، ما أروع الحياة، ليكن ما يكون!

كـولـيـجـين: درجة سلوكك اليوم تحت المتوسط.

فـيرشـيـنـين: الشراب المنقوع لذيذ. ما الذى نقعتموه؟

سـولـيـونـى: صراصير.

إيـــريـــنـــا: **(بصوت باك)** اخص! اخص! يا للقرف!..

أولجـــــــا: فى العشاء سنقدم ديكا روميا محمرا وكعكة حلوة

بالتفاح. الحمد لله أنا اليوم فى البيت طول النهار، ومساء فى البيت.. يا سادة، تعالوا فى المساء.

فـيرشـيـنـين: اسمحى لى بالمجىء مساء!

إيـــريـــنـــا: تفضل.

نـــتـــاشـــا: لا تكليف عندهم.

تشـيبوتيكـين: للحب وحده قد أنجبتنا أمنا الطبيعة. **(يضحك)**.

أنـــدريـــه: **(بغضب)** كفى يا سادة! ألم تملوا هذا؟

(يدخل فيدوتيك ورودى بسلة أزهار كبيرة)

فـيـدوتـيـك: لقد بدأوا يفطرون.

رودى: **(بصوت عال وبلثغة)** يفطرون؟ نعم، بدأوا..

فـيـدوتـيـك: انتظر دقيقة! **(يصور صورة)** واحد! انتظر قليلا.. **(يصور صورة أخرى)** اثنان! الآن جاهز!

(يحملان السلة ويدخلان الصالة فيستقبلونهما بصخب)

رودى: **(بصوت. عال)** تهانىَّ، وتمنياتى بكل الخير! الطقس اليوم رائع، العظمة كلها! طول الصباح تنزهت مع التلاميذ. أنا أدرس الجمباز فى المدرسة..

فـيـدوتـيـك: يمكنك أن تتحركى يا إيرينا سرجيفنا، يمكنك! **(يصور صورة)** أنت اليوم وسيمة. **(يخرج من جيبه خذروفا)** ها هو، بالمناسبة، خذروف.. صوته مدهش..

إيـــريـــنـــا: ما أروعه!

مـــــاشـــــا: بلوطة خضراء عند شاطئ الأحلام، فى جذعها قد ثبتت سلسلة من ذهب.. قد ثبتت سلسلة من ذهب.. (**بصوت باك**) لماذا أقول ذلك؟ منذ الصباح علقت بذاكرتى هذه الجملة..

كـولـيـجـين: ثلاثة عشر حول المائدة!

رودى: (**بصوت عال**) أحقا يا سادة تهتمون بالخزعبلات؟

(**ضحك**)

كـولـيـجـين: إذا كان عدد الجالسين إلى المائدة ثلاثة عشر فمعناه وجود عاشقين هنا. أصحيح أنك يا إيفان رومانوفيتش، لا قدر الله..

(**ضحك**)

تشـيبوتيكـين: أنا خاطئ عجوز، ولكنى لا أستطيع أن أفهم أبدا لماذا خجلت نتاليا إيفانوفنا.

(**ضحك عال. نتاشا تركض من الصالة إلى غرفة الجلوس أندريه يتبعها**)

أنـــدريـــه: كفى، لا تلقى بالا!.. انتظرى.. مهلا، أرجوك..

نـــتـــاشـــا: أنا خجلة.. أنا لا أعرف ماذا يحدث لى، وهم يسخرون منى.. مغادرتى للمائدة الآن عيب، ولكنى لا أستطع.. لا أستطيع.. (**تغطى وجهها بيديها**).

أنـــدريـــه: يا عزيزتى أرجوك، أتوسل إليك، لا تقلقى. أؤكد لك أنهم يمزحون، بنية صافية. يا عزيزتى، يا غاليتى، كلهم

أناس طيبون ودودون، يحبونني ويحبونك. تعالى هنا إلى النافذة، من هنا لن يرونا.. **(يتلفت)**

نـــتــــاشــــا: لم أتعود على جو المجتمعات!..

أنـــــدريــــــه: أوه، يا للشباب، يا للشباب البديع الرائع. يا غاليتى، يا عزيزتى لا تقلقى هكذا!.. صدقينى.. كم أشعر بالراحة، القلب عامر بالحب، والإعجاب.. أوه، لا أحد يرانا! لا أحد! لماذا، لماذا أحببتك، متى أحببتك، أوه لا أفهم شيئا. يا غاليتى، يا عزيزتى، أيتها الطاهرة، كونى زوجتى! إننى أحبك، أحبك.. كما لم أحب أبدا..

(قبلة)

(يدخل ضابطان، وإذ يريان الزوج الذى يتبادل القبل يتوقفان فى ذهول)

(ســـتار)

الفصل الثانى
ديكور الفصل الأول

(الوقت: الثامنة مساء. فى الخارج، وراء المسرح، يسمع عزف خافت على الأكورديون. لا أضواء. تدخل نتاليا إيفانوفنا فى روب منزلى، تحمل شمعة. تمشى ثم تتوقف عند الباب المؤدى إلى غرفة أندريه)

نــــتـــــاشــــا: ماذا تفعل يا أندريوشا؟ تقرأ؟ لا شىء، أنا هكذا.. **(تمضى وتفتح بابا آخر، تطل فيه ثم تغلقه)** هل الضوء مشتعل؟..

أنــــــدريــــــه: **(يدخل وفى يده كتاب)** ماذا حدث يا نتاشا؟

نــــتـــــاشــــا: أنظر هل الضوء مشتعل.. الآن عيد المرافع، والخدم ليسوا فى وعيهم، لا بد من الحيطة، وإلا وقع شىء. بالأمس مررت فى نصف الليل بغرفة الطعام فوجدت شمعة مشتعلة. من أشعلها، لم أستطع أن أتوصل إلى شىء. **(تضع الشمعة)** كم الساعة الآن؟

أنــــــدريــــــه: **(يتطلع إلى الساعة)** الثامنة والربع.

نــــتـــــاشــــا: أولجا وإيرينا لم تعودا بعد. تكدحان المسكينتان. أولجا فى

المجلس التربوى وإيرينا فى التليغراف.. **(تتنهد)**. اليوم صباحا قلت لأختك: «حافظى على نفسك يا إيرينا يا عزيزتى» فلم تستمع إلىَّ. تقول الثامنة والربع؟ أنا خائفة، ابننا بوبيك مريض. لماذا جسمه بارد هكذا؟ بالأمس كان محموما واليوم بارد كله.. كم أنا خائفة!

أندريه: لا بأس يا نتاشا الصبى بخير.

نتاشا: ومع ذلك فليبق على نظام الغذاء الخاص. أنا خائفة. قالوا إن المتنكرين سيأتون إلينا فى العاشرة مساء اليوم، الأفضل يا أندريوشا، ألا يأتوا.

أندريه: فى الحقيقة لا أعرف. ولكن سبق أن دعوهم.

نتاشا: استيقظ الصبى اليوم صباحا، ونظر إلىَّ، ثم ابتسم فجأة، إذن فقد عرفنى. قلت له: بوبيك، يا جيدا. إذن يا أندريوشا سأخبرهم بألا يستقبلوا المتنكرين.

أندريه: **(بتردد)** هذا يتوقف على شقيقاتى. هن صاحبات البيت.

نتاشا: وهنّ أيضا سأخبرهن. إنهن طيبات.. **(تذهب)** أمرتهم أن يقدموا الزبادى فى العشاء. الدكتور يقول إن عليك أن تأكل الزبادى فقط، وإلا فلن ينقص وزنك. **(تتوقف)** بوبيك بارد. أنا خائفة، أظن برد عليه فى غرفته. ينبغى نقله إلى غرفة أخرى حتى حلول الدفء. غرفة إيرينا مثلا، مناسبة تماما للطفل. جافة، والشمس فيها طول

النهار. ينبغى التحدث معها، يمكنها مؤقتا أن تسكن مع أولجا فى غرفة واحدة.. فهى على العموم لا تبقى فى البيت نهارا، تأتى للمبيت فقط..

(صمت)

أندريوشا، لماذا أنت. ساكت؟

أنـــدريـــه: هكذا، أفكر.. ثم إنه لا شىء يقال..

نـــتـــاشـــا: نعم.. أردت أن أقول لك شيئا.. آه، نعم. جاء فيرابونت من مجلس الإقليم، يريدك.

أنـــدريـــه: **(يتثاءب)** ناديه.

(نتاشا تخرج. أندريه ينحنى على الشمعة التى نسيتها ويقرأ كتابه. يدخل فيرابونت. فى معطف بال مهترئ، بياقة مرفوعة، أذناه معصوبتان)

مرحبا يا عزيزى. ما وراءك؟

فـيرابـونـت: الرئيس أرسل كتابا وورقة لا أدرى ما هى.. تفضل.. **(يقدم له كتابا ومظروفا)**.

أنـــدريـــه: شكرا. حسنا. ولماذا جئت متأخرا هكذا؟ فالساعة تقارب التاسعة.

فـيرابـونـت: هه؟

أنـــدريـــه: **(بصوت أعلى)** أقول جئت متأخرا، الساعة تقارب التاسعة.

فـيرابـونـت: تمام يا سيدى. أنا جئت والدنيا ما زالت مضيئة، ولكن

لم يسمحوا لى بالدخول. قالوا السيد مشغول. طيب، مشغول مشغول، لست مستعجلا (**يظن أن أندريه يسأله عن شيء ما**) هه؟

أنـــــدريـــــه: لا شيء (**يتفحص الكتاب**) غدا الجمعة، ليس يوم حضور عندنا، ولكنى سآتى رغم ذلك.. سأهتم بالموضوع. البيت ممل.

(صمت)

أيها الجد العزيز، ما أغرب تحولات الحياة، وكم تخدعنا! اليوم، بسبب الملل، بسبب الفراغ، تناولت هذا الكتاب.. المحاضرات الجامعية القديمة، فغلبنى الضحك.. يا إلهى، أنا سكرتير مجلس إقليمى، ذلك المجلس الذى يرأسه بروتوبوبوف. أنا سكرتير، وغاية ما أستطيع أن أؤمل فيه: أن أصبح عضوا فى مجلس الإقليم! أنا.. أصبح عضوا بمجلس الإقليم المحلى، أنا.. الذى أحلم كل ليلة بأنى أستاذ بجامعة موسكو، وعالم مشهور، تفخر به أمنا روسيا!

فــيرابــونــت: لا علم لى.. سمعى ثقيل..

أنـــــدريـــــه: لو كنت تسمع جيدا ربما ما تحدثت إليك. أنا بحاجة إلى الحديث مع أحد ما، ولكن زوجتى لا تفهمنى، أما شقيقاتى فأخشاهن لسبب ما، أخشى أن يضحكن منى أو يخجلننى.. أنا لا أسكر، ولا أحب الحانات، ولكن كم

يطيب لى لو كنت الآن جالسا فى حانة تيستوف بموسكو، أو حانة «موسكو الكبيرة» يا عزيزى.

فيرابونت: حكى أحد المقاولين فى المجلس من مدة، قال فى موسكو أكل بعض التجار شطائر. ومنهم واحد أكل أربعين شطيرة، فمات. إما أربعين وإما خمسين.. لا أذكر.

أندريه: تجلس فى موسكو، فى قاعة مطعم ضخمة، لا تعرف أحدا ولا أحد يعرفك، وفى الوقت نفسه لا تشعر بنفسك غريبا. أما هنا فتعرف الجميع والجميع يعرفونك، ولكنك غريب، غريب.. غريب ووحيد.

فيرابونت: هه؟

(صمت)

والمقاول إياه قال أيضا، وربما يكذب، إنهم مدوا حبلا عبر موسكو كلها.

أندريه: وما الداعى؟

فيرابونت: لا أعرف. المقاول قال.

أندريه: هراء. **(يقرأ الكتاب)** هل كنت فى موسكو؟

فيرابونت: **(بعد فترة صمت)** لم أكن. ربنا لم يكتب لى.

(صمت)

هل أذهب؟

أندريه: يمكنك أن تذهب. مع السلامة.

(فيرابونت يخرج)

مع السلامة. **(يقرأ)** تعال غدا صباحا وخذ الأوراق..

انصرف..

(صمت)

لقد ذهب.

(جـــرس)

نعم، يا لها من أمور.. **(يتمطى وينصرف إلى غرفته على مهل)**.

(خلف المسرح تغنى مربية مهدهدة طفلا. تدخل ماشا وفيرشينين. أثناء حديثهما تشعل الخادم المصباح والشموع)

مـــــاشـــــا: لا أعرف.

(صمت)

لا أعرف. طبعا العادة تعنى الكثير. بعد وفاة والدنا مثلا، لم نستطع طويلا أن نتعود على أنه لم يعد لدينا جنود مراسلة. وبخلاف العادة أظن أن ما يحركنى كذلك هو الإنصاف. ربما ليس الأمر كذلك فى أماكن أخرى، ولكن فى مدينتنا العسكريون هم أكثر الناس استقامة ونبلا وتهذيبا.

فـيرشـيـنـين: إنى عطشان، لو أشرب شايا.

مـــــاشـــــا: **(تتطلع إلى الساعة)** قريبا سيقدمونه. لقد زوجونى وأنا فى الثامنة عشرة، وكنت أخشى زوجى لأنه كان مدرسا، وأنا لم أكد أتخرج من المدرسة آنذاك. بدا لى حينها

مثقفا جدا، ذكيا وهاما. لكن الموضوع الآن مختلف، للأسف.

فيرشينين: هكذا.. نعم.

ماشا: دعك من زوجي، فقد تعودت عليه، ولكن هناك بين المدنيين عموما الكثير من الأشخاص الأفظاظ، القليلى الذوق، غير المهذبين. إن الفظاظة تثيرنى، تهيننى، وأتعذب عندما أرى الشخص غير حساس بما يكفى، غير رقيق، غير مجامل. عندما يحدث أن أكون بين المدرسين، زملاء زوجى، فإننى أتعذب فعلا.

فيرشينين: نعم.. ولكن يبدو لى أن كلا من المدنى والعسكرى، لا فرق، كلاهما غير شيق، على الأقل فى هذه المدينة لا فرق! فلو استمعت إلى المثقف المحلى، المدنى أم العسكرى، فستجدين أن زوجته قد أعيته، والبيت أعياه، والضيعة أعيته، والخيول أعيته.. الشخص الروسى يتميز إلى درجة كبيرة بنمط التفكير السامى، ولكن خبرينى، لماذا لا يبلغ فى الحياة شأوا بعيدا؟ لماذا؟

ماشا: لماذا؟

فيرشينين: لماذا أعياه الأطفال، أعيته زوجته؟ ولماذا أعيا هو الزوجة والأطفال؟

ماشا: أنت اليوم معتل المزاج قليلا.

فيرشينين: ربما. أنا اليوم لم أتغد، لم أذق شيئا منذ الصباح. ابنتى

مريضة قليلا، وعندما تمرض ابنتاى يتولانى القلق، ويعذبنى ضميرى لأن لديهما أما كهذه. آه لو رأيتها اليوم! يا للتفاهة! بدأنا نتشاجر من السابعة صباحا، وفى التاسعة صفقت الباب وخرجت.

(صمت)

أنا لا أتحدث عن ذلك أبدا، والغريب، أننى لا أشكو إلا لك وحدك. **(يقبل يدها)** لا تغضبى منى. ليس عندى أحد غيرك، أبدا، أبدا..

(صمت)

ماشا: كم تصخب المدفأة. قبيل وفاة بابا بقليل أزت المدخنة. هكذا بالضبط.

فيرشينين: أنت متطيرة؟

ماشا: نعم

فيرشينين: هذا غريب. **(يقبل يدها)** أنت امرأة عظيمة، رائعة. عظيمة، رائعة! المكان مظلم، ولكنى أرى بريق عينيك.

ماشا: **(تجلس على كرسى آخر)** هنا أكثر إضاءة..

فيرشينين: أنا أحبك، أحبك، أحبك.. أحب عينيك، أحب حركاتك، التى أراها فى الحلم.. امرأة عظيمة، رائعة!

ماشا: **(تضحك بصوت خافت)** عندما تتحدث معى هكذا لا أدرى لماذا أضحك، رغم أنى أشعر بالرهبة. لا تكرر

هذا أرجوك.. (**بصوت خافت**) وعموما تحدث، لا فرق عندى.. (**تغطى وجهها بيديها**) لا فرق عندى. أحدهم قادم. تحدث عن شىء آخر..

(**إيرينا وتوزنباخ يدخلان عبر الصالة**)

تــوزنــبــاخ: اسم عائلتى ثلاثى. البارون توزنباخ.. كرونى.. آلتشاور، ولكنى روسى، أرثوذكسى، مثلك. لم يبق لدى من الألمان إلا القليل، فقط الصبر، والعناد اللذان أضجرك بهما. إننى أوصلك كل مساء.

إيــريــنــا: كم أنا متعبة!

تــوزنــبــاخ: وكل مساء سوف آتى إلى مكتب التليغراف وأوصلك إلى البيت، سأظل آتى عشر سنوات، عشرين سنة، إلى أن تطردينى.. (**يرى ماشا وفيرشنين، يقول بفرح**) أنتما؟ مرحبا.

إيــريــنــا: ها أنذا أخيرا فى البيت (**لماشا**) جاءتنى منذ قليل سيدة لترسل برقية إلى أخيها فى ساراتوف، بأن ابنها مات اليوم، ولم تستطع أبدا أن تتذكر العنوان. فأرسلتها بدون عنوان، فقط إلى ساراتوف. كانت تبكى. عاملتها بخشونة دون سبب. قلت لها «ليس لدى وقت». ما أغبى ذلك. اليوم سيأتى إلينا المتنكرون؟

مــاشــا: نعم.

إيــريــنــا: (**تجلس فى مقعد فوتيل**) أريد أن أرتاح. تعبت.

تـــوزنـــبـــاخ: **(بابتسامة)** عندما تعودين من العمل تبدين صغيرة وتعيسة..

(صمت)

إيـــريـــنـــا: تعبت، كلا، أنا لا أحب التليغراف، لا أحبه

مـــاشـــا: أنت نحفت.. **(تصفر)** وصغرت، وأصبح وجهك يشبه وجه صبى.

تـــوزنـــبـــاخ: هذا بفعل التسريحة.

إيـــريـــنـــا: ينبغى أن أجد وظيفة أخرى، هذه ليست لى. ما كنت أتوق إليه، ما كنت أحلم به، هو بالذات ما ليس فيها. عمل بلا شاعرية، بلا أفكار..

(دق على الأرض من الطابق الأسفل)

الدكتور يدق. **(لتوزنباخ)** دق له يا عزيزى. أنا لا أستطيع متعبة..

(توزنباخ يدق على الأرض)

سيأتى الآن. ينبغى اتخاذ إجراء ما. بالأمس كان الدكتور وشقيقنا أندريه فى النادى، وخسرا مرة أخرى. يقال إن أندريه خسر مائتى رويل.

مـــاشـــا: **(بلا مبالاة)** وما العمل الآن!

إيـــريـــنـــا: منذ أسبوعين خسر، وفى ديسمبر خسر. لو أنه يخسر كل شىء بسرعة، إذن فربما رحلنا عن هذه المدينة، يا إلهى، يا ربى، أحلم بموسكو كل ليلة، أصبحت كالممسوسة.

(**تضحك**) سننتقل إلى هناك فى يونيو، وبقى حتى يونيو..
فبراير، مارس، أبريل، مايو.. نصف سنة تقريبا!

مـــــاشـــــا: المهم ألا تعلم نتاشا بطريقة ما بالخسارة.

إيـــريـــنـــا: أعتقد أن هذا سيان لديها.

(تشـيبوتيكـين، الذى نهض لتوه من السرير ـ كان يرتاح بعد الغداء ـ يدخل الصالة ويمشط لحيته، ثم يجلس إلى الطاولة ويخرج صحيفة من جيبه)

مـــــاشـــــا: ها قد جاء.. هل دفع إيجار الشقة؟

إيـــريـــنـــا: (**تضحك**) كلا. لم يدفع كوبيكا طوال ثمانية أشهر، يبدو نسى.

مـــــاشـــــا: (**تضحك**) كم يجلس بعظمة!

(الجميع يضحكون. صمت)

إيـــريـــنـــا: مالك صامت يا ألكسندر أجناتيفيتش؟

فـيرشـيـنـين: لا أدرى. أرغب فى شاى. نصف حياتى أعطى مقابل كوب شاى! لم أذق شيئا منذ الصباح..

تشـيبوتيكـين: إيرينا سرجييفنا!

إيـــريـــنـــا: ماذا تريد؟

تشـيبوتيكـين: لو سمحت هنا! Venez ici [1]

(إيرينا تذهب وتجلس إلى الطاولة)

أنا لا أستطيع بدونك.

---

(١) تعالى هنا (بالفرنسية فى الأصل).

(إيرينا توزع أوراق اللعب)

فـيرشـيـنـين: حسنا، طالما لا يقدمون الشاى، هيا على الأقل نتفلسف.

تـوزنـبـاخ: هيا. وعمَّ؟

فـيرشـيـنـين: عمَّ؟ هيا نحلم.. مثلا بالحياة التى ستأتى بعدنا، بعد مائتين أو ثلاثمائة سنة.

تـوزنـبـاخ: حسنا. بعدنا سوف يحلقون بالمناطيد، وستتغير السترات، وربما اكتشفوا الحاسة السادسة وطوروها، ولكن الحياة ستظل كما هى، حياة قاسية، مليئة بالأسرار وسعيدة. وحتى بعد ألف عام سوف يزفر الإنسان هكذا أيضا ويقول: «آه ما أصعب الحياة!»، وفى نفس الوقت، ومثلما الآن، سوف يخاف الموت ولا يتمناه.

فـيرشـيـنـين: **(بعد تفكير)** كيف أوضح لك؟ أعتقد أن كل ما على الأرض ينبغى أن يتغير شيئا فشيئا، وهو يتغير بالفعل أمام أعيننا. وبعد مائتى سنة أو ثلاثمائة، أو حتى ألف ـ ليست العبرة بالمدة ـ ستحل حياة جديدة، سعيدة. ولن نشارك فى هذه الحياة بالطبع، ولكننا من أجلها نعيش الآن، ونعمل، وحتى نتعذب، إننا نخلقها. وفى هذا وحده يكمن الغرض من وجودنا، بل وسعادتنا إذا شئتم.

(ماشا تضحك بصوت خافت)

تـوزنـبـاخ: ماذا بك؟

مـــــاشـــــا: لا أدرى. اليوم أضحك طول النهار، منذ الصباح

فـيرشـيـنـين: أنـا تخرجت من حيث تخرجت أنـت، ولم ألتحق بالأكاديمية. أقرأ كثيرا، ولكنى لا أجيد اختيار الكتب وأقرأ ربما غير المطلوب أبدا، ومع ذلك كلما تقدم بى العمر ازددت رغبة فى المعرفة. شعرى يشيب، وقد أصبحت عجوزا تقريبا، ولكن ما أقل ما أعرفه، آه ما أقله! ومع ذلك أعتقد أننى أعرف أهم شىء، الشىء الحقيقى، وأعرفه جيدا. وكم أود أن أثبت لكم أنه لا سعادة لنا، ولا ينبغى أن تكون، ولن تكون.. علينا فقط أن نعمل ونعمل، أما السعادة فهى من نصيب الأجيال القادمة البعيدة.

(صمت)

إن لم أكن أنا فخلف خلفى.

(فيدوتيك ورودى يظهران فى الصالة. يجلسان ويغنيان بصوت خافت وبمداعبة الجيتار)

تـــوزنـــبـــاخ: حسب كلامك لا يجب حتى أن نحلم بالسعادة! وإذا كنت سعيدا!

فـيرشـيـنـين: كـــلا.

تـــوزنـــبـــاخ: **(يشيح بيديه ويضحك)** يبدو أننا لا نفهم بعضنا البعض. حسنا، كيف أقنعك؟

(ماشا تضحك بصوت خافت)

(ملوحا لها بإصبعه) اضحكى! **(لفيرشينين)** ليس بعد مائتى أو ثلاثمائة سنة، بل وبعد مليون سنة، ستبقى الحياة مثلما كانت. إنها لا تتغير، بل تبقى ثابتة، متبعة قوانينها الخاصة التى لا تعبأ أنت بها، أو التى على الأقل لن تعرفها أبدا. الطيور المهاجرة، اللقالق مثلا، تطير وتطير، وأيا كانت الأفكار التى تراودها، سامية أم تافهة، فسوف تظل تطير وهى لا تعلم لماذا وإلى أين. إنها تطير، وسوف تطير، ومهما ظهر بينها من فلاسفة. فلتتفلسف كما تشاء، المهم أن تطير..

ماشا: ولكن ما المغزى مع ذلك؟

توزنباخ: المغزى.. ها هو الثلج يسقط. فأى مغزى؟

(صمت)

ماشا: أعتقد أن الإنسان ينبغى أن يكون مؤمنا، أو ينبغى أن يبحث عن عقيدة، وإلا فحياته فارغة، فارغة.. أن تعيش دون أن تدرى لماذا تطير اللقالق، ولماذا يولد الأطفال، ولماذا النجوم فى السماء.. إما أن تعرف لماذا تعيش، وإما فكل شىء تافه.

(صمت)

فيرشينين: من المؤسف مع ذلك أن الشباب ولى..

ماشا: عند جوجول يقول أحدهم: الحياة فى هذه الدنيا مملة يا سادة!

توزنباخ: أما أنا فأقول: مجادلتكم صعبة يا سادة! دعونى..

تشيبوتيكين: (**يقرأ الصحيفة**) بلزاك عقد قرانه فى برديتشيف

(**إيرينا تدندن بصوت خافت**)

سأسجل هذا فى المفكرة (**يسجل**) بلزاك عقد قرانه فى برديتشيف. (**يقرأ الصحيفة**).

إيرينا: (**توزع ورق اللعب، مستغرقة فى التفكير**) بلزاك عقد قرانه فى برديتشيف[1].

توزنباخ: نفذ السهم. أتدرين يا ماريا سرجييفنا، أنا سأتقاعد.

ماشا: سمعت. ولا أرى فى ذلك أى خير. أنا لا أحب المدنيين.

توزنباخ: سيان.. (**ينهض**) أنا لست جميلا، فأى عسكرى أنا؟ نعم، طبعا، سيان على أى حال.. سوف أعمل. أعمل ولو يوما واحدا فى حياتى، بحيث أعود إلى البيت مساء منهكا فأرتمى فى الفراش وأنام على الفور. (**يخرج إلى الصالة**) لا بد أن العمال ينامون نوما عميقا!

فيدوتيك: (**لإيرينا**) اشتريت الآن فى شارع موسكوفسكايا، من متجر بيجيكوف أقلاما ملونة لك. وهذه المبراة..

إيرينا: تعودت على معاملتى وكأنى صغيرة، ولكنى أصبحت كبيرة.. (**تأخذ الأقلام والمبراة بفرح**) ما أروعها!

فيدوتيك: واشتريت لنفسى مطواة.. ها هى، انظرى.. سكين،

---

(١) تزوج الكاتب الفرنسى المعروف أونوريه دى بلزاك (١٧٩٩ ـ ١٨٥٠) فى مدينة برديتشيف البولندية (حاليا مدينة فى أوكرانيا السوفييتية). المعرب.

وسكين آخر، وثالث. هذا للتنقيب فى الأذن، وهذا مقص، وهذا لتنظيف الأظافر..

رودى: **(بصوت عال)** يا دكتور، كم سنك؟

تشيبوتيكين: أنا؟ اثنان وثلاثون.

(ضحك)

فيدوتيك: سأريكم الآن سولتير آخر.. **(يرتب السولتير)**

(يحضرون السماور. أنفيسا بجوار السماور. بعد قليل تأتى نتاشا وتسعى أيضا بجوار المائدة. يأتى سوليونى ويحيى، ثم يجلس إلى المائدة)

فيرشينين: يا للريح!

ماشا: نعم. مللت الشتاء. لقد نسيت حتى كيف يبدو الصيف.

إيرينا: ستترتب الأوراق سولتير، أرى ذلك. سننتقل إلى موسكو.

فيدوتيك: كلا، لن تترتب. انظرى، الثمانية جاءت فوق الدوه البستونى. **(يضحك)** إذن لن تنتقلوا إلى موسكو.

تشيبوتيكين: **(يقرأ الصحيفة)** تسيتسيكار. الجدرى يتفشى فى المدينة.

أنفيسا: **(تقترب من ماشا)** ماشا، اشربى الشاى يا بنيتى. **(لفيرشينين)** تفضلوا يا صاحب السعادة.. اعذرنى يا سيدى، نسيت اسمكم..

ماشا: هاتى هنا يا دادة. لن أذهب هناك.

إيرينا: يا دادة!

أنـفـيـسـا: حاضر!

نـتـاشـا: **(لسوليونى)** الأطفال الرضع يفهمون جيدا. قلت له: «مرحبا يا بوبيك، مرحبا يا عزيزى!» فنظر إلىَّ نظرة خاصة. أتظن أننى أقول ذلك لأنى أمه، لا، كلا، أؤكد لك! إنه طفل خارق.

سـولـيـونـى: لو كان هذا الطفل طفلى، لحمرته على المقلاة وأكلته. **(يسير بالكوب إلى غرفة الجلوس ويجلس فى الركن).**

نـتـاشـا: **(تغطى وجهها بيديها)** يا لك من فظ، عديم التربية!

مـاشـا: سعيد من لا يلاحظ إن كان الوقت شتاء أم صيفا. يخيل إلىَّ أننى لو كنت فى موسكو لما اهتممت بالجو..

فـيرشـيـنين: منذ أيام قرأت مذكرات أحد الوزراء الفرنسيين التى كتبها فى السجن. لقد حكم على الوزير بالسجن فى قضية بنما[1]، بأى نشوة وإعجاب يتذكر الطيور التى يراها من نافذة السجن والتى لم يكن يلاحظها من قبل، عندما كان وزيرا. والآن، وبعد أن أطلق سراحة لم يعد بالطبع يلاحظ الطيور. وهكذا، فلن تلاحظى موسكو عندما ستقيمين فيها. ليس لدينا سعادة، ولا توجد، إننا فقط نتمناها.

تـوزنـبـاخ: **(يتناول علبة من على المائدة)** وأين الحلوى؟

إيـريـنـا: أكلها سوليونى.

---

(١) وزير الأشغال العامة بايو (١٨٤٣ ـ ١٩٠٥). حكم عليه بالسجن بعد اتهامه بتقاضى رشوة كبيرة من إدارة الشركة التى كانت تقوم بشق قناة بنما. بعد خروجه من السجن أصدر مذكراته بعنوان «مذكرات سجين». **المعرب.**

تـوزنـبـاخ: كلها؟

أنـفـيـسـا: **(وهى تقدم الشاى)** لك رسالة يا سيدى.

فـيرشـيـنـين: لى؟ **(يتناول الرسالة)** من ابنتى. **(يقرأ لنفسه)** نعم، بالطبع.. عفوا يا ماريا سرجييفنا، أنا سأنصرف بهدوء. لن أشرب الشاى. **(ينهض منفعلا)** دائما هذه المشاكل..

مـاشـا: ماذا هناك؟ أليس سرا؟

فـيرشـيـنـين: **(بصوت خافت)** زوجتى تناولت السم مرة أخرى. ينبغى أن أذهب. سأمر خفية. كم هذا منفر. **(يقبل يد ماشا)** يا عزيزتى، أيتها المرأة الطيبة، الرائعة.. سأمر من هنا بهدوء.. **(ينصرف)**.

أنـفـيـسـا: إلى أين هو؟ والشاى.. يا له من..

مـاشـا: **(تغضب)** كفى! كم أنت مزعجة.. **(تسير بالفنجان إلى الطاولة)** أضجرتنى أيتها العجوز!

أنـفـيـسـا: ما الذى أغضبك؟ ماذا يا بنيتى؟

صوت أندريه: أنفيسا!

أنـفـيـسـا: **(تقلده)** أنفيسا! قاعد هناك.. **(تخرج)**

مـاشـا: **(فى الصالة، بجوار الطاولة، بغضب)** دعونى أجلس! **(تخلط الأوراق على الطاولة)** احتلوا المكان بأوراقهم، اشربوا الشاى!

إيـريـنـا: أنت شريرة يا ماشا.

مـاشـا: ما دمت شريرة فلا تتحدثوا معى. لا تلمسونى!

تشـيبوتيكـين: **(ضاحكا)** لا تلمسوها، لا تلمسوها..

مـــــاشــــا: أنت فى الستين من عمرك بينما تتصرف كصبى وتهذى دائما بأشياء الشيطان يعلمها.

نـــتـــاشـــا: **(تتنهد)** ماشا العزيزة، ما الداعى لاستخدام هذه العبارات فى الكلام؟ بهيئتك الرائعة، أقول لك بصراحة، كان يمكن أن تكونى فاتنة فى المجتمع الراقى، لو لا هذه الكلمات

Je vous prie, pardonnez moi, Marie, mais vous avez de manières un peu grossières.[1]

تـــوزنـــبـــاخ: **(كاتما ضحكه)** أعطونى.. أعطونى.. هناك أظن كونياك.

نـــتـــاشـــا: Il parait, que mon بوبيك Déjà ne dort pas.[2] استيقظ. إنه اليوم مريض قليلا. سأذهب إليه، عفوا.. **(تخرج)**

إيـــريـــنـــا: أين ذهب ألكسندر أجناتيتش؟

مـــــاشــــا: إلى البيت. حدث لزوجته شىء غير عادى مرة أخرى.

تـــوزنـــبـــاخ: **(يتجه إلى سوليونى، فى يده دورق كونياك)** دائما تجلس وحدك، تفكر فى شىء ما، ولا أحد يفهم فيم تفكر. حسنا، تعال نتصالح. هيا نشرب كونياكا.

(يشربان)

اليوم سأضطر إلى العزف على البيانو طوال الليل، سأعزف فى الغالب أى هراء.. ليكن ما يكون!

---

(١) أرجو المعذرة يا ماريا ولكن لديك طريقة فظة قليلا. (بالفرنسية فى الأصل).

(٢) يبدو أن بوبيك ليس نائما. (بالفرنسية فى الأصل).

سـولـيـونـى: لماذا نتصالح؟ أنا لم أتشاجر معك

تـوزنـبـاخ: إنك دائما تثير لدىَّ شعورا وكأنما حدث بيننا شىء. ينبغى أن أصارحك، إن لديك طبعا غريبا.

سـولـيـونـى: **(بلهجة إلقاء)** أنا غريب، فمن ذا غير الغريب! لا تغضب يا أليكو[1]!

تـوزنـبـاخ: وما دخل أليكو هنا..

(صمت)

سـولـيـونـى: عندما أكون مع شخص ما واحد، فلا بأس، أكون كالآخرين. ولكنى فى المجتمع كئيب، خجول و.. أتفوه بشتى الهراء. ومع ذلك فأنا أشرف وأنبل من كثيرين، كثيرين جدا. وأستطيع أن أثبت ذلك.

تـوزنـبـاخ: أنا كثيرا ما أغضب منك، وأنت دائما ما تتحرش بى عندما نكون فى مجتمع، ومع ذلك أميل إليك لسبب ما. ليكن ما يكون، فلأسكر اليوم لنشرب!

سـولـيـونـى: لنشرب.

(يشربان)

ليس عندى أبدا أى شىء ضدك يا بارون. ولكن طبعى كطبع ليرمنتوف[2]. **(بصوت خافت)** بل إنى أشبه

---

(١) أليكو ـ بطل قصيدة بوشكين «الغجر». المعرب.

(٢) ميخائيل ليرمنتوف (١٨١٤ ـ ١٨٤١) شاعر روسى كبير يمتاز شعره بالوجدانية الحزينة والشفافية. له رواية «بطل من هذا الزمان». قتل فى مبارزة. المعرب.

ليرمنتوف قليلا.. كما يقولون.. **(يستخرج من جيبه قارورة عطر ويسكب على يديه).**

توزنباخ: سأتقاعد. كفى! خمس سنوات وأنا أفكر، وأخيرا قررت. سوف أعمل.

سوليوني: لا تغضب يا أليكو.. فلتنسها، فلتنس أحلامك..

(أثناء حديثهما يدخل أندريه ومعه كتاب ويجلس فى هدوء بجوار الشمعة)

توزنباخ: سوف أعمل.

تشيبوتيكين: **(متجها إلى غرفة الجلوس مع إيرينا)** والأكل أيضا كان قوقازيا حقيقيا: شوربة بصل، ثم طبق تشيخارتما باللحم.

سوليوني: التشيريمشا ليست لحما على الإطلاق، بل نباتا مثل البصل عندنا.

تشيبوتيكين: كلا يا ملاكى. التشيخارتما ليست بصلا، بل لحم ضأن محمر.

سوليوني: وأنا أقول لك التشيريمشا بصل.

تشيبوتيكين: وأنا أقول لك التشيخارتما ضأن.

سوليوني: وأنا أقول لك التشيريمشا بصل.

تشيبوتيكين: لماذا أتجادل معك! أنت لم تكن فى القوقاز أبدا ولم تذق التشيخارتما.

سوليوني: لم أذقها لأنى لا أطيقها. فبعد أن تأكلها تفوح منك رائحة الثوم تماما.

أنـــدريـــه: **(ضارعا)** كفى يا سادة! أرجوكم!

تــوزنــبـــاخ: متى سيأتى المتنكرون؟

إيـــريـــنـــا: وعدوا بالمجىء فى التاسعة، يعنى حالا.

تــوزنــبـــاخ: **(يضم أندريه)** يا مدخل بيتى ما أعجب[1]..

أنـــدريـــه: **(يرقص ويغنى)** يا مدخل من خشب القيقب..

تشـيبوتيكـــين: **(يرقص)** يا مدخل من خشب شبكى!

(ضحك)

تــوزنــبـــاخ: **(يقبل أندريه)** يا للشيطان، هيا نشرب. أندريوشا، هيا نشرب نخب التآخى. وسأهذب معك يا أندريوشا إلى موسكو، إلى الجامعة.

ســولـيــونــى: إلى أى جامعة؟ فى موسكو جامعتان.

أنـــدريـــه: فى موسكو جامعة واحدة.

ســولـيــونــى: وأنا أقول لك جامعتان.

أنـــدريـــه: فليكن حتى ثلاث. هذا أفضل.

ســولـيــونــى: فى موسكو جامعتان!

(زمجرة وهسهسة استهجان)

فى موسكو جامعتان، جامعة قديمة وجامعة جديدة. أما إذا كنت لا ترغب فى سماعى، إذا كانت كلماتى تستفزك فبوسعى ألا أتكلم. بل حتى أتسطيع الذهاب إلى غرفة أخرى.. **(يخرج عبر أحد الأبواب)**.

---

(١) أغنية شعبية روسية راقصة، سريعة الإيقاع. المعرب.

تــوزنـــبـــاح: برافوا، برافو! **(يضحك)** ابدأوا يا سادة، أنا سأجلس إلى البيانو! مضحك سوليونى هذا.. **(يجلس إلى البيانو ويعزف لحن فالس)**

مــــاشــــا: **(ترقص الفالس وحدها)** البارون سكران، البارون سكران، البارون سكران!

(تدخل نتاشا)

نــتـــاشـــا: **(لتشيبوتيكين)** إيفان رومانيتش! **(تتحدث مع تشيبوتيكين فى أمر ما، ثم تخرج بهدوء).**

(تشيبوتيكين يلمس كتف توزنباخ ويهمس له بشىء ما).

إيـــريـــنـــا: ماذا هناك؟

تشيبوتيكـين: آن لنا أن ننصرف. نترككم بخير.

تــوزنــبـــاخ: ليلة سعيدة. آن أن ننصرف.

إيـــريـــنـــا: مهلا.. والمتنكرون؟

أنـــدريـــه: **(محرجا)** المتنكرون لن يأتوا. الموضوع يا عزيزتى يعنى.. نتاشا تقول إن بوبيك مريض قليلا، ولذلك.. باختصار أنا لا أعرف شيئا، وسيان عندى تماما.

إيـــريـــنـــا: **(تهز كتفيها)** بوبيك مريض!

مــــاشــــا: ليكن ما يكون! طالما يطردوننا فلنذهب. **(لإيرينا)** ليس بوبيك المريض بل هى نفسها.. هكذا **(تدق بإصبعها على جبينها)** الجلفة!

(أندريه ينصرف إلى غرفته عبر الباب الأيمن، تشيبوتيكين يتبعه، فى الصالة يتبادلون عبارات الوداع)

فيدوتيك: يا للأسف! كنت آمل فى قضاء السهرة هنا، لكن إذا كان الصبى مريضا، فطبعا.. سأحضر له غدا لعبة..

رودى: **(بصوت عال)** أنا اليوم أخذت قسطى من النوم بعد الغداء خصيصا، كنت أظن أننى سأرقص طول الليل. الساعة الآن التاسعة فقط!

ماشا: لنخرج إلى الشارع ونبحث الأمر. ونقرر ماذا نعمل.

(يُسمع: «وداعا! نترككم فى خير!» يتردد ضحك توزنباخ المرح. الجميع يخرجون. أنفيسا وخادمة تجمعان الأوانى من على الطاولة وتطفئان الأضواء. يسمع غناء المربية. يدخل أندريه بهدوء مرتديا المعطف والقبعة ومعه تشيبوتيكين)

تشيبوتيكين: لم ألحق أن أتزوج لأن الحياة مرقت كالبرق. ثم إنى كنت أحب والدتك بجنون، وكانت متزوجة..

أندريه: لا داعى للزواج. لا داعى لأنه ممل.

تشيبوتيكين: هو كذلك حقا، ولكن الوحدة. مهما تفلسفت فالوحدة شىء رهيب يا عزيزى.. رغم أنه فى الحقيقة.. طبعا.. سيان تماما!

أندريه: هيا، فلنسرع.

تشيبوتيكين: ولم العجلة؟ سنلحق.

أندريه: أخشى أن تستوقفنى زوجتى.

تشـيبوتيكـين: آه!

أنـــدريـــه: اليوم لن ألعب، سأتفرج فقط. أشعر بوعكة.. ماذا أفعل يا إيفان رومانيتش لضيق التنفس؟

تشـيبوتيكـين: لِمَ تسألنى! لا أذكر يا عزيزى. لا أعرف.

أنـــدريـــه: تعال عن طريق المطبخ.

(يخرجان)

(جرس، ثم جرس آخر. تسمع أصوات وضحك)

إيـــريـــنـــا: **(تدخل)** ماذا هناك؟

أنـفـيـسـا: **(همسا)** المتنكرون!

(جرس)

إيـــريـــنـــا: قولى لهم يا دادة: لا أحد فى المنزل. فليعذرونا.

(أنفيسا تخرج. إيرينا تذرع الغرفة مستغرقة فى التفكير. تبدو منفعلة. يدخل سوليونى)

سـولـيـونـى: **(باستغراب)** لا أحد.. وأين الآخرون؟

إيـــريـــنـــا: انصرفوا.

سـولـيـونـى: غريبة. وأنت وحدك هنا؟

إيـــريـــنـــا: وحدى.

(صمت)

وداعا.

سـولـيـونـى: لم يكن سلوكى منذ قريب متزنا ولا مهذبا. ولكن لست كالآخرين، أنت سامية وطاهرة، وترين الحقيقة.. أنت

وحدك، لا أحد غيرك يستطيع أن يفهمنى. أنا أحبك، أحبك بعمق، بلا حدود..

إيـــريـــنـــا: وداعا! انصرف.

ســولــيــونــى: لا أستطيع أن أحيا بدونك. (**يمضى خلفها**) آه يا نعمتى! (**عبر الدموع**) يا سعادتى! أيتها العينان الرائعتان الساحرتان الفاخرتان، اللتان لم أر لهما مثيلا عند أى امرأة أخرى..

إيـــريـــنـــا: (**ببرود**) كف عن هذا يا فاسيلى فاسيليتش!

ســولــيــونــى: أول مرة أبوح بحبى لك، وأشعر كأننى لست على الأرض، بل على كوكب آخر. (**يحك جبينه**) حسنا، سيان. بالطبع لن تغصب أحدا على الحب.. ولكن لا ينبغى أن يكون لى غرماء سعداء.. لا ينبغى.. أقسم لك بكل المقدسات إننى سأقتل غريمى.. أوه، يا ساحرتى!

(**نتاشا تمر حاملة شمعة**)

نـــتـــاشـــا: (**تطل فى باب، ثم فى آخر، وتمر بجوار باب غرفة زوجها**) أندريه هنا. فليقرأ. عفوا يا فاسيلى فاسيليتش، لم أكن أعرف أنك هنا، أنا فى ملابس البيت.

ســولــيــونــى: سيان عندى. وداعا! (**يخرج**).

نـــتـــاشـــا: أنت متعبة يا عزيزتى، يا فتاتى المسكينة! (**تقبل إيرينا**). هلا نمت مبكرا.

إيـــريـــنـــا: بوبيك نائم؟

نـــتـــاشـــا: نائم. لكن نومه قلق. بالمناسبة يا عزيزتى، كنت أريد

أن أقول لك، ولكن تارة أنت غير موجودة، وتارة أنا مشغولة.. أعتقد أن الجو فى غرفة بوبيك الحالية بارد ورطب عليه. وغرفتك ممتازة للطفل. يا عزيزتى، يا حبيبتى، انتقلى إلى غرفة أوليا!

إيـــريــــنـــا: **(لا تفهم)** إلى أين؟

(يسمع صوت عربة ترويكا بأجراس تقترب من المنزل)

نـــتـــاشـــا: اسكنى مع أوليا فى غرفة واحدة مؤقتا، وغرفتك نعطيها لبوبيك. كم هو لطيف. اليوم قلت له: «بوبيك أنت لى، لى!» بينما أخذ ينظر إلىَّ بعينيه الحلوتين.

(جرس)

يبدو أنها أولجا. كم تتأخر!

(الخادم تقترب من نتاشا وتهمس فى أذنها)

بروتوبوبوف؟ يا له من غريب الأطوار. بروتوبوبوف وصل. يدعونى لركوب الترويكا معه. **(تضحك)** ما أغرب هؤلاء الرجال..

(جرس)

أحدهم جاء. قد أركب معه لأتنزه لربع ساعة.. **(للخادم)** قولى له حالا.

(جرس)

الجرس يدق..إنها أولجا على ما أعتقد. **(تخرج)**

(الخادم تنصرف ركضا. إيرينا تجلس مستغرقة فى التفكير. يدخل كوليجين وأولجا، ومن خلفهما فيرشينين)

كــولــيــجــين: يا لها من مفاجأة. ألم يقولوا إنه ستكون عندهم سهرة.

فــيرشــيــنــين: غريبة، أنا ذهبت منذ وقت قريب، من نصف ساعة، وكانوا فى انتظار المتنكرين.

إيـــريـــنـــا: الجميع انصرفوا.

كــولــيــجــين: وماشا أيضا؟ إلى أين ذهبت؟ ولماذا ينتظر بروتوبوبوف تحت فى الترويكا؟ من ينتظر؟

إيـــريـــنـــا: لا توجه لى أسئلة.. أنا متعبة.

كــولــيــجــين: آه من هذه المتدللة..

أولجـــــــــا: المجلس انتهى لتوه. تعذبت. رئيستنا مريضة، وأنا الآن أحل محلها.آه، صداع، رأسى.. **(تجلس)** بالأمس خسر أندريه مائتى روبل فى القمار.. المدينة كلها تتحدث عن ذلك..

كــولــيــجــين: نعم، وأنا تعبت فى المجلس. **(يجلس)**

فــيرشــيــنــين: زوجتى قررت منذ قليل أن ترهبنى، كادت أن تنتحر سما. كل شىء انتهى بخير، وأنا سعيد، أرتاح الآن.. إذن علينا أن ننصرف؟ حسنا، اسمحوا لى أن أتمنى لكم كل خير. فيودور إيليتش، فلنذهب معا إلى مكان ما! أنا لا أستطيع أن أعود إلى المنزل، لا أتسطيع أبدا.. لنذهب!

كــولــيــجــين: أنا متعب. لن أذهب. **(ينهض)** متعب. هل ذهبت زوجتى إلى البيت؟

إيـــريـــنــــا : أعتقد.

كــولـيــجــين: **(يقبل يد إيرينا)** وداعا. غدا وبعد غد استراحة طول النهار. أتركك بخير! **(يذهب)** كم أرغب فى شاى. كنت آمل فى قضاء سهرة فى صحبة لطيفة، ولكن يا. Fallacem hominum spem! [1] مفعول به وعلامة تعجب..

فـيرشـيـنـين: إذن سأذهب وحــدى. **(ينصرف مع كوليجين مصفرا).**

أولجـــــــــا: صداع، رأسى.. أندريه خسر.. المدينة كلها تتحدث.. سأذهب لأرقد. **(تذهب)** غدا إجازة.. أوه يا إلهى، ما أجمل ذلك! غدا إجازة، وبعد غد إجازة.. رأسى، صداع.. **(تخرج).**

إيـــريـــنــــا: **(وحدها)** كلهم ذهبوا، لم يبق أحد.

(فى الخارج عزف أكورديون، مربية تغنى)

نــــتـــــاشــــا: **(فى معطف وقبعة من الفراء تمر عبر الصالة. من خلفها الخادم)** سأعود بعد نصف ساعة. سأركب قليلا. **(تخرج).**

إيـــريـــنــــا: **(تبقى وحدها، تشعر بالوحشة)** إلى موسكو! إلى موسكو، إلى موسكو!

(ســتار)

---

(١) يا أملا إنسانيا وهميا (باللاتينية فى الأصل).

الفصل الثالث

(غرفة أولجا وإيرينا . سريران إلى اليمين واليسار يحجبهما ستاران. الساعة تدور فى الثالثة ليلا. فى الخارج يدق ناقوس الإنذار بسبب الحريق الذى شب من وقت طويل. واضح أنهم فى المنزل لم يأووا بعد إلى النوم. ماشا راقدة على الكنبة، كالعادة فى فستان أسود. تدخل أولجا وأنفيسا)

أنــفــيــســا: هم جالسون الآن تحت السلم.. أقول لهم: «تفضلوا فوق، لا يمكن هكذا»، لكنهم يبكون. يقولون: «لا نعرف أين بابا، نخشى أن يكون احترق، لا قدر الله». ما هذا الكلام! وفى الحوش غيرهم.. وبدون ملابس أيضا.

أولجــــا: **(تخرج من الدولاب ثيابا)** خذى هذا الفستان الرمادى.. وهذا أيضا.. والبلوزة أيضا.. وهذه التنورة خذيها يا دادة.. يا إلهى ما هذا! حارة كيرسانوف احترقت كلها فيما يبدو.. خذى هذا.. خذى هذا.. **(تلقى إليها بملابس)** المساكين آل فيرشينين فزعوا.. كاد بيتهم أن يحترق. فليبيتوا عندنا.. لا تدعوهم يذهبون إلى منزلهم.. فيدوتيك المسكين احترق كل ما عنده، لم يبق شىء..

أنـــفـــيـــســـا: هلا استدعيت فيرابونت يا أوليا، الحمل صعب على..

أولجـــــــــا: **(تدق الجرس)** لن يسمع.. **(فى الباب)** من هناك، تعال هنا!

(تظهر فى الباب المفتوح نافذة، حمراء من اللهب، تسمع فرقة الإطفاء مارة بجوار البيت)

يا للفظاعة. كم سئمت هذا!

(يدخل فيرابونت)

خذ هذا، احمله إلى تحت.. أسفل السلم آنسات آل كولوتيلين.. أعطه لهن. وهذا أيضا أعطه..

فـــيرابـــونـــت: حاضر. فى سنة اثنتى عشرة موسكو احترقت أيضا. آه يا ربى، يا إلهى! اندهش الفرنسيون[1].

أولجـــــــــا: اذهب، امش..

فـــيرابـــونـــت: حاضر. **(ينصرف)**.

أولجـــــــــا: يا دادة، يا عزيزتى، أعطيهم كل شىء.. لسنا بحاجة إلى شىء، أعطيهم كل ما عندنا يا دادة.. أنا تعبت، لا أقوى على الوقوف.. لا تدعوا آل فيرشينين يعودون إلى منزلهم.. فلتنم الفتاتان فى غرفة الجلوس، وألكسندر أجناتيفيتش تحت مع البارون.. وفيدوتيك أيضا مع البارون، أو عندنا فى الصالة.. الدكتور، للحظ، سكران،

---

(١) الإشارة إلى حريق موسكو أثناء الحرب الوطنية ضد الغزاة الفرنسيين عام ١٨١٢. المعرب.

سكران جدا، ولا يمكن إرسال أحد عنده. وزوجة فيرشينين أيضا فى غرفة الجلوس.

أنـفـيـسـا: **(بإرهاق)** أوليا العزيزة، لا تطردينى! لا تطردينى!

أولجـا: ما هذا الكلام الفارغ يا دادة. لا أحد يطردك.

أنـفـيـسـا: **(تضع رأسها على صدر أولجا)** يا حبيبتى، يا كنزى الغالى، إننى أعمل، أنا أكدح.. إذا ضعفت سيقول الجميع: اذهبى! فإلى أين أذهب؟ عمرى ثمانون.. الثانية والثمانون الآن..

أولجـا: اجلسى يا دادة.. لقد تعبت يا مسكينة.. **(تجلسها)** استريحى يا حبيبتى. كم أنت شاحبة!

(تدخل نتاشا)

نـتـاشـا: يقولون هناك لا بد من الإسراع بإنشاء جمعية لمساعدة منكوبى الحريق. ماذا؟ فكرة رائعة. وعموما ينبغى مساعدة الفقراء، هذا واجب على الأغنياء. بوبيك وصوفى ينامان وكأنها لا يحدث شىء. عندنا خلق كثيرون، البيت كله ملىء بالناس. الإنفلونزا منتشرة الآن فى المدينة، اخشى أن تنتقل العدوى إلى الأولاد.

أولجـا: **(لا تصغى إليها)** من هذه الغرفة لا يرى الحريق، غرفة هادئة..

نـتـاشـا: نعم.. يبدو أننى مشعثة. **(أمام المرآة)** يقولون إنى سمنت.. غير صحيح! أبدا ماشا نائمة، تعبت، المسكينة.. **(لأنفيسا ببرود)** إياك أن تجلسى فى حضورى! قفى! امشى من هنا!

(أنفيسا تخرج. صمت)

لماذا تحتفظين بهذه العجوز، لست أفهم!

أولجـــــــا: **(مذهولة)** عفوا، أنا أيضا لا أفهم..

نـــتـــاشـــا: لا داعى لوجودها هنا. إنها فلاحة، ينبغى أن تعيش فى الريف.. ما هذا التدليل! أنا أحب النظام فى البيت! لا ينبغى أن يوجد أشخاص زيادة. **(تربت على خدها)** أنت متعبة، يا مسكينة! رئيستنا متعبة! عندما تكبر صوفى وتدخل المدرسة سوف أخشاك.

أولجـــــــا: لن أكون رئيسة.

نـــتـــاشـــا: سيختارونك يا أوليا. هذا مقرر.

أولجـــــــا: سأرفض. لا أستطيع.. هذا فوق طاقتى.. **(تشرب ماء)** أنت الآن عاملت الدادة بفظاظة.. اعذرينى، ولكنى لا أستطيع أن أحتمل.. بل إن الدنيا غامت أمام عينى..

نـــتـــاشـــا: **(بانفعال)** سامحينى يا أوليا، سامحينى.. أنا لم أقصد الإساءة إليك.

(ماشا تنهض وتأخذ الوسادة وتنصرف غاضبة)

أولجـــــــا: افهمى يا عزيزتى.. ربما تكون تربيتنا غريبة، ولكنى لا أطيق هذا. هذه المعاملة تثقل علىَّ، تمرضنى.. إننى أشعر بالخور!..

نـــتـــاشـــا: سامحينى، سامحينى.. **(تقبلها)**.

أولجـــــــــا: كل فظاظة، مهما كانت تافهة، وكل كلمة تقال بغير لباقة، تثيرنى..

نـــتـــاشـــا: أنا كثيرا ما أقول أشياء لا داعى لها، هذا صحيح، ولكن ألا توافقينى يا عزيزتى، إنها يمكن أن تعيش فى الريف.

أولجـــــــــا: إنها عندنا منذ ثلاثين سنة.

نـــتـــاشـــا: ولكنها الآن لا تقدر على العمل! إما أننى لا أفهمك، وإما أنك لا تريدين أن تفهمينى. إنها لا تقوى على العمل، إنها تجلس أو تنام فقط.

أولجـــــــــا: دعيها تجلس.

نـــتـــاشـــا: (بدهشة) كيف دعيها تجلس؟ ولكنها من الخدم. (من خلال الدموع) أنا لا أفهمك يا أوليا. أنا عندى دادة، ومرضعة، وعندنا خادم وطاهية.. فما حاجتنا إلى هذه العجوز؟ لأى غرض؟

(الناقوس يدق خلف المسرح)

أولجـــــــــا: هذه الليلة هرمت عشر سنوات.

نـــتـــاشـــا: علينا أن نتفق يا أوليا، اتفاقا لا رجعة فيه.. أنت فى المدرسة وأنا فى البيت، العلم لك، والشئون المنزلية لى. وإذا قلت شيئا بخصوص الخدم فأنا أعرف ما أقوله. أنا أعرف ما أقـ.. و.. له.. غدا لا تكون هذه اللصة العجوز هنا، هذه العجوز الشمطاء.. **(تدق بقدميها)**

هذه الشيطانة!.. إياك أن تجرئى على إثارتى! إياك! (**تتمالك نفسها فجأة**) بجد، إذا لم تنتقلى إلى تحت فسوف نتشاجر دائما. هذا فظيع.

(**يدخل كوليجين**)

كـولـيـجـين: أين ماشا؟ آن لنا أن نعود إلى البيت. يقولون الحريق ينتهى. (**يتمطى**) لم يحترق إلا حى واحد، رغم وجود رياح، فى أول الأمر بدا وكأن المدينة كلها تحترق. (**يجلس**) تعبت. يا أوليا العزيزة.. إننى كثيرا ما أفكر: لولا ماشا لكنت تزوجتك يا أوليا. أنت لطيفة جدا.. تعبت (**يصيخ**).

أولجـــا: ماذا؟

كـولـيـجـين: كأنما عن عمد، الدكتور عنده نوبة شراب، إنه سكران جدا. كأنما عن عمد! (**ينهض**) ها هو قادم إلى هنا، أظن.. أتسمعين؟ نعم، إلى هنا.. (**يضحك**) يا له من رجل، فعلا.. سأختبئ. (**يتجه إلى الدولاب ويقف فى الركن**) ياله من عربيد.

أولجـــا: لم يشرب منذ سنتين، وها هو فجأة يغرق فى الشرب.. (**تذهب مع نتاشا إلى عمق الغرفة**).

(**يدخل تشيبوتيكن. لا يترنح، يسير كالمفيق عبر الغرفة، ويتوقف ويتطلع. ثم يتجه إلى المغسلة ويبدأ فى غسل يديه**).

تشيبوتيكـين: (**عابسا**) فليذهبوا جميعا إلى الشيطان.. جميعا.. يظنون

أننى طبيب، أجيد علاج شتى الأمراض، وأنا لا أعرف شيئا على الإطلاق، نسيت كل شىء، لا أذكر شيئا،على الإطلاق.

(تخرج أولجا ونتاشا دون أن يلحظ)

فليذهبوا إلى الشيطان. فى الأربعاء الماضى عالجت امرأة من زاسيبى فماتت. وأنا المذنب فى موتها. نعم.. كنت أعرف بعض الأشياء قبل حوالى خمس وعشرين سنة، أما الآن فلا أذكر شيئا لا شىء.. فى رأسى خواء، وفى قلبى برودة. ربما لم أكن إنسانا، بل أتظاهر بأن لدىَّ يدين ورجلين.. ورأسا. ربما لم أكن موجودا على الإطلاق، بل يخيل إلى أننى أسير، وآكل، وأنام. **(يبكى)** أوه لو لم أكن موجودا! **(يكف عن البكاء. يقول عابسا)** يا للشيطان.. منذ يومين دار حديث فى النادى. تحدثوا عن شكسبير، فولتير.. أنا لم أقرأ لهما، لم أقرأ لهما شيئا، ولكنى رسمت على وجهى ملامح المطلع. والآخرون أيضا مثلى. يا للابتذال! يا للحقارة! وتلك المرأة التى تسببت فى موتها يوم الأربعاء تذكرتها.. تذكرت كل شىء، وأحسست فى روحى بالتشوه، بالقرف، بالوضاعة.. وأطلقت لنفسى العنان، وشربت..

(تدخل إيرينا وفيرشينين وتوزنباخ. توزنباخ يرتدى حلة مدنية جديدة وعصرية)

إيـــــريـــــنــــا: لنجلس هنا. لن يأتى إلى هنا أحد.

فيرشينين: لولا الجنود لاحترقت المدينة كلها. جدعان! **(يفرك يديه من المتعة)** قوم ممتازون! آه ما أجدعهم!

كوليجين: **(مقتربا منهم)** كم الساعة يا سادة؟

توزنباخ: بدأت تدور فى الرابعة. الفجر يلوح.

إيرينا: الجميع يجلسون فى الصالة، ولا أحد ينصرف. وصاحبك سوليونى هذا، جالس.. **(لتشيبوتيكين)** هلا ذهبت فنمت يا دكتور.

تشيبوتيكين: لا بأس.. أشكرك **(يمشط لحيته)**.

كوليجين: **(ضاحكا)** سكرت طينة يا إيفان رومانيتش! **(يربت على كتفه)** شاطر! قال القدماء: in vino veritas [1]

توزنباخ: الجميع يرجوننى أن أنظم حفلة لصالح منكوبى الحريق.

إيرينا: حسنا، ومن يستطيع..؟

توزنباخ: يمكن تنظيم الحفل لو هناك رغبة. ماريا سرجييفنا مثلا تعزف على البيانو بروعة.

كوليجين: تعزف بروعة!

إيرينا: لقد نسيت ذلك. منذ ثلاثة أعوام لم تعزف.. أو ربما أربعة.

توزنباخ: لا أحد فى المدينة على الإطلاق يفهم الموسيقى، ولا

---

(١) الحقيقة فى الخمر (باللاتينية فى الأصل).

شخص واحد، ولكنى أنا أفهمها، وأؤكد لك بشرفى، أن ماريا سرجييفنا تعزف بروعة، بموهبة تقريبا.

كـولـيـجـين: أنت محق يا بارون، إننى أحبها جدا، ماشا، إنها لطيفة.

تـوزنـبـاخ: أن تجيد العزف بهذه العظمة، وفى الوقت نفسه تدرك أن لا أحد يفهمك، لا أحد!

كـولـيـجـين: **(يزفر)** نعم.. ولكن هل من اللائق لها أن تشترك فى الحفل؟

(صمت)

إننى لا أعرف شيئا يا سادة. ربما كان ذلك طيبا. ينبغى أن أعترف لكم بأن مديرنا رجل طيب، بل طيب جدا، ذكى للغاية، ولكن لديه أفكارا كهذه.. بالطبع ليس هذا شأنه، ومع ذلك، إذا شئتم فقد أتحدث معه.

(تشيبوتيكين يتناول ساعة من الخزف ويتأملها)

فـيرشـيـنـين: توسخت تماما فى الحريق، منظرى غريب.

(صمت)

بالأمس سمعت حديثا عابرا بأن لواءنا سينقل إلى مكان بعيد. البعض يقول: إلى مملكة بولندا، والبعض الآخر: إلى تشيتا.

تـوزنـبـاخ: أنا أيضا سمعت. ماذا؟ إذن ستصبح المدينة خاوية تماما.

إيـريـنـا: ونحن سنرحل!

تشـيبوتيكــين: **(تسقط منه الساعة فتتحطم)** طارت شظايا!

(صمت. الجميع متضايقون محرجون)

كــولــيــجــين: **(يجمع الشظايا)** أتكسـر مثـل هـذا الشـىء الثمــين، آه يا إيفان رومانيتش، يا إيفان رومانيتش، سلوكك تستحق عليه ناقص صفر!

إيـــريـــنـــا: إنها ساعة المرحومة أمى.

تشـيبوتيكــين: ربما.. حسنا، ساعة ماما. ربما أنا لم أكسرها، بل يبدو فقط أننى كسرتها. ربما يبدو لنا فقط أننا موجودون، بينما فى الحقيقة لا وجود لنا. أنا لا أعرف شيئا، لا أحد يعرف شيئا. **(عند الباب)** لماذا تنظرون؟ نتاشا على علاقة غرامية مع بروتوبوبوف، وأنتم لا ترون.. أنتم تجلسون هنا، ولا ترون شيئا، بينما نتاشا على علاقة غرامية مع بروتوبوبوف.. **(يغنى)** هل ترغب أن تأكل هذه البلحة..

(يخرج)

فــيرشـيــنــين: نعم.. **(يضحك)** ما أغرب هذا فى الحقيقة!

(صمت)

عندما بدأ الحريق أسرعت ركضا إلى البيت. عندما وصلت نظرت، فرأيت بيتنا سليما لم يصبه سوء، ولا يهدده الخطر، ولكن بنتىَّ تقفان عند العتبة، فى ملابس النوم، وأمهما ليست هناك، الناس متجمعون، وتركض الخيول

والكلاب، وعلى وجوه الفتاتين ارتسم القلق، الرعب، التوسل، لا أدرى ماذا. انقبض قلبى عندما رأيت هذه الملامح. قلت لنفسى: يا إلهى، أى عذاب سيقدر لهاتين الصغيرتين أن تعانياه خلال حياتهما الطويلة! التقطتهما وركضت، وطوال الوقت كنت أفكر فى شىء واحد: أى عذاب سيقدر لهما أن تعانياه فى هذه الدنيا!

(الناقوس يدق. صمت)

جئت إلى هنا فإذا أمهما هنا، أخذت تصرخ وتغضب.

(تدخل ماشا بالوسادة وتجلس على الكنبة)

عندما كانت ابنتاى واقفتين حافيتين، بملابس النوم فقط على العتبة، والشارع أحمر من النار، والضجة رهيبة، فكرت بأن شيئا مثل هذا كان يحدث منذ سنوات طويلة مضت، عندما يهجم الأعداء فجأة فينهبون ويحرقون.. وفى الحقيقة فأى فرق هناك بين ما يجرى الآن وما جرى من قبل! وسوف يمر وقت قليل، حوالى مائتى أو ثلاثمائة عام، وسينظرون إلى حياتنا الراهنة أيضا بمثل هذا الخوف والسخرية، وسوف يبدو لهم كل ما لدينا الآن أخرق وثقيلا، وغير مريح جدا وغريبا. أوه يا لها من حياة ستكون فى الغالب، يا لها من حياة! **(يضحك)** عفوا، مرة أخرى أتفلسف. اسمحوا لى أن أواصل يا سادة. إننى أرغب بشدة فى التفلسف، عندى مزاج لذلك الآن.

(صمت)

كأنما الجميع نيام. وهكذا أقول: يالها من حياة ستكون! يمكنكم فحسب أن تتصوروا.. أمثالكم فى المدينة الآن ثلاثة فقط، وفى الأجيال التالية سيكونون أكثر، أكثر فأكثر، وسيأتى وقت يتغير فيه كل شىء حسبما تريدون، وستكون الحياة كما تريدون، وبعد ذلك يتقادم العهد حتى بكم، ويولد أناس آخرون، أفضل منكم.. **(يضحك)** عندى اليوم مزاج خاص. أرغب فى العيش بجنون.. **(يغنى)** كل الأعمار تطيع الحب، دفق حرك نبض القلب[1].. **(يضحك)**

مـــاشــــا: ترام.. تم.. تم..

فـيرشـيـنـين: ترام.. تم..

مـــاشــــا: ترا.. را.. را؟

فـيرشـيـنـين: ترا.. تا.. تا **(يضحك)**

(يدخل فيدوتيك)

فـيـدوتـيـك: **(راقصا)** احترقت، احترقت! لآخر فتلة!

(ضحك)

إيـــريـــنـــا: ما هذا المزاح. كل شىء احترق؟

فـيـدوتـيـك: **(ضاحكا)** لآخر فتلة. لم يبق شىء. والجيتار احترق، والصور احترقت، وكل رسائلى.. وأردت أن أهديك مفكرة، احترقت هى أيضا.

---

(١) دور الأمير جريمين فى أوبرا «يفجينى أنيجين» للموسيقار تشايكوفسكى. المعرب.

(يدخل سوليونى)

إيـــريـــنـــا: لا، أرجوك، اخرج يا فاسيلى فاسيليتش. ممنوع الدخول هنا.

ســولــيــونــى: ولماذا مسموح للبارون وممنوع لى؟

فــيرشــيــنــين: بالفعل، ينبغى أن نذهب. كيف الحريق؟

ســولــيــونــى: يقال بدأ ينطفئ. كلا، ولكنى مستغرب جدا، لماذا مسموح للبارون وممنوع لى؟ **(يخرج قـارورة عطر ويسكب منها)**.

فــيرشــيــنــين: ترام.. تم.. تم.

مـــاشـــا: ترام.. تم.

فــيرشــيــنــين: **(يضحك. لسوليونى)** لنذهب إلى الصالة.

ســولــيــونــى: حسنا، لنسجل هذا فى المحضر لولا أخاف غضبة الأوز والصياح، لقلت رأيى واستفضت فى الإيضاح[1].. **(ينظر إلى توزنباخ)** كت.. كت.. كت..

(يخرج مع فيرشينين وفيدوتيك)

إيـــريـــنـــا: ملأ الغرفة دخانا سوليونى هذا.. **(باستغراب)** البارون نائم! يا بارون! يا بارون!

تـــوزنـــبـــاخ: **(يستيقظ)** أنا تعبان فعلا.. مصنع الطوب.. لست أهذى بل هذا واقع، فعما قريب سأذهب إلى مصنع الطوب وأبدأ فى العمل.. تحدثت فى هذا الموضع. **(لإيرينا برقة)**

---

(١) استشهاد غير دقيق ببيت من حكاية «الأوز» للأديب الروسى إيفان كريلوف. **المعرب**.

كم أنت شاحبة، رائعة، جذابة.. يخيل إلىَّ أن شحوبك يضيء الجو المظلم كالنور.. أنت حزينة، غير راضية عن الحياة.. أوه، فلتأتى معى، لنعمل معا!

مـــــاشــــــا: نيكولاى لفوفيتش، اخرج من هنا.

تـــوزنــــبـــاخ: **(ضاحكا)** أنت هنا؟ أنا لا أرى. **(يقبل يد إيرينا)** وداعا، أنا راحل..أنظر إليك الآن وأتذكرك فى زمن بعيد، فى عيد شفيعتك، عندما كنت مفعمة بالحيوية، مرحة، تتحدثين عن سعادة العمل.. وكم لاحت لى ساعتها آفاق حياة سعيدة! فأين هى؟ **(يقبل يدها)** أرى الدموع فى عينيك. اذهبى نامى، الفجر طلع.. سيبدأ الصباح.. لو كان مسموحا لى بأن أقدم حياتى فداءك!

مـــــاشــــــا: نيكولاى لفوفيتش اخرج! كفى حقا..

تـــوزنــــبـــاخ: أنا خارج.. **(يخرج)**

مـــــاشــــــا: **(ترقد)** أنت نائم يافيودور؟

كـــولـــيــجــين: هـــه؟

مـــــاشــــــا: هلا عدت إلى البيت.

كـــولـــيــجــين: ماشا يا عزيزتى، ماشا يا حبيبتى..

إيـــــريــــنـــــا: إنها متعبة. دعها تستريح يا فيودور.

كـــولـــيــجــين: سأذهب حالا.. زوجتى طيبة، رائعة.. أحبك يا حبى الوحيد..

مـــــاشــــا: (**بغضب**) Amo, amas amat, amamus, amatis, amant[1]

كـولـيـجـين: (**يضحك**) حقا، إنها مدهشة. تزوجتك منذ سبع سنين، بينما يخيل لى أننى تزوجتك بالأمس فقط أقسم بشرفى. حقا أنت امرأة مدهشة. أنا مبسوط، أنا مبسوط، أنا مبسوط!

مـــــاشــــا: سئمت، سئمت، سئمت.. (**تنهض وتتحدث جالسة**) لا أستطيع أن أبعده عن تفكيرى.. شىء يثير السخط. كالمسمار فى رأسى، لا أستطيع أن أسكت. أنا أقصد أندريه.. رهن البيت فى البنك، واستولت زوجته على المبلغ كله، ولكن البيت ليس ملكه وحده، بل ملكنا الأربعة! عليه أن يعرف هذا، إذا كان رجلا شريفا.

كـولـيـجـين: دعيك من ذلك يا ماشا! ما حاجتك إليه؟ أندريوشا مدين للجميع، ليكن، له الله.

مـــــاشــــا: هذا مثير للسخط على أى حال. (**ترقد**)

كـولـيـجـين: نحن لسنا فقراء. أنا أعمل، أذهب إلى المدرسة ثم أعطى دروسا.. أنا رجل شريف. بسيط.. Omnia mea[2] mecum porto كما يقال.

مـــــاشــــا: لست بحاجة إلى شىء، ولكن الظلم يثيرنى.

---

(١) أحب، تحب، يحب، نحب، تحبون، يحبون. (باللاتينية فى الأصل).

(٢) كل ما أملكه أحمله معى. (باللاتينية فى الأصل).

(صمت)

اذهب يا فيودور.

كـولـيـجـين: **(يقبلها)** أنت متعبة، استريحى نصف ساعة، وسأجلس أنا هناك، سأنتظرك. نامى.. **(يمضى)** أنا مبسوط. أنا مبسوط، أنا مبسوط. **(يخرج)**

إيـــريـــنـــا: حقا، إلى أى حد تدهور أخونا أندريه، كم ذبل وهرم بجوار هذه المرأة! فى وقت ما كان يستعد لأن يصبح أستاذا، وبالأمس تباهى بأنه أصبح، أخيرا، عضوا بالمجلس المحلى. هو عضو المجلس وبروتوبوبوف رئيسه.. المدينة كلها تتحدث وتسخر، وهو الوحيد الذى لا يعرف ولا يرى شيئا.. وها قد أسرع الجميع إلى الحريق، أما هو فيجلس فى غرفته ولا يبالى بشىء.. فقط يعزف على الكمان. **(بعصبية)** أوه، فظاعة، فظاعة! **(تبكى)** أنا لا أستطيع، لا أستطيع أن أحتمل أكثر!.. لا أستطيع، لا أستطيع!

(تدخل أولجا، تنظف المكان بجوار طاولتها)

(تنتحب بصوت عـال) دعونى، دعونى! لم أعد أحتمل!

أولجـــــــا: **(فزعة)** ماذا، ماذا بك؟ يا عزيزتى!

إيـــريـــنـــا: **(تنتحب)** أين؟ أين؟ اين اختفى كل شىء؟ أين هو؟ يا إلهى، يا إلهى! أنا نسيت، نسيت كل شىء.. اختلط فى

ذهني كل شيء.. لا أذكر كيف تكون نافذة بالإيطالية، أو سقف.. أنسى كل شيء، كل يوم أنسى، بينما الحياة تنقضي ولن تعود أبدا، أبدا، لن نرحل إلى موسكو أبدا.. أنا أرى أننا لن نرحل..

أولجـــــا: يا عزيزتي، يا عزيزتي..

إيـــريـــنـــا: **(تكتم انفعالها)** أوه، كم أنا تعيسة.. لا أستطيع أن أعمل، لن أعمل. كفى، كفى! كنت أعمل في التليغراف، والآن في إدارة المدينة، وأكره، أحتقر كل عمل يكلفونني به.. أنا في الرابعة والعشرين، وأعمل من زمن طويل، وعقلي جفَّ، وأنا نحفت، وقبحت، وهرمت، ولا شيء، لا شيء، لا متعة على الإطلاق، بينما الزمن يمضي، ويخيل إلى طوال الوقت أنني أبتعد عن الحياة الحقيقية الرائعة، أبتعد أكثر فأكثر، نحو هاوية ما. أنا يئست، يئست، يئست! وكيف لا أزال حية، كيف لم أقتل نفسي إلى الآن، لست أفهم..

أولجـــــا: لا تبكي يا صغيرتي، لاتبكي.. إنني أتعذب.

إيـــريـــنـــا: أنا لا أبكي، لا أبكي.. كفى.. هكذا، انظري، أنا لا أبكي. كفى.. كفى!

أولجـــــا: يا عزيزتي، أقول لك كأخت، كصديقة، إذا أردت نصيحتي تزوجي البارون!

(إيرينا تبكي بصوت خافت)

إنك تحترمينه، وتقدرينه كثيرا.. صحيح أنه غير جميل، ولكنه مستقيم، طاهر.. الفتيات لا يتزوجن بدافع الحب، بل فقط أداء للواجب. أنا على الأقل أفكر هكذا، وسأتزوج دون حب لو عُرِض عليَّ. أيا كان الخاطب، سيان، سأتزوجه، المهم أن يكون إنسانا مستقيما. بل حتى لو كان عجوزا..

إيـــريـــنـــا: كنت طوال الوقت أنتظر أن ننتقل إلى موسكو، وهناك سألقى فارس أحلامى الحقيقى، الذى كنت أحبه.. ولكن ظهر أن كل شىء هراء، هراء..

أولجـــــــا: **(تضم شقيقتها)** يا حبيبتى، يا شقيقتى الرائعة، أنا أفهم جيدا. عندما ترك البارون نيكولاى لفوفيتش الخدمة العسكرية وجاء إلينا فى سترة، بدا لى قبيحا إلى درجة، حتى إننى بكيت.. وسألنى: «ماذا يبكيك؟» فكيف أجيبه! ولكن لو قدر له الله أن يتزوجك، لكنت سعيدة. المسألة هنا مختلفة، مختلفة تماما.

(نتاشا تمر عبر الخشبة فى صمت من الباب الأيمن إلى الأيسر، حاملة شمعة)

مـــاشـــا: **(تجلس)** إنها تسير هكذا وكأنها هى التى أشعلت الحريق.

أولجـــــــا: أنت غبية يا ماشا. أنت أغبى شخص فى عائلتنا. اعذرينى من فضلك.

(صمت)

مـــــاشـــــا: أريد يا شقيقتىَّ العزيزتين أن أعترف بذنبى. روحى تتعذب. سأعترف لكما ولن أبوح لغيركما، أبدا.. لحظة واحدة، سأقول. **(بصوت خافت)** إنه سرى أنا، ولكن ينبغى أن تعرفا كل شىء.. لا أستطيع السكوت..

(صمت)

أنا أحبه، أحبه.. أحب هذا الرجل.. لقد رأيتماه لتوكما.. فليكن إذن. باختصار، أحب فيرشينين..

أولجـــــــــا: **(تذهب إلى فراشها وراء الستار)** دعيك من ذلك. سيان، أنا لا أسمع.

مـــــاشـــــا: وما العمل! **(تمسك رأسها بيديها)** بدا لى أولا أنه غريب، ثم أحببته.. أحببته بصوته، بكلماته، ببلاياه، بابنتيه..

أولجـــــــــا: **(من وراء الستار)** سيان، أنا لا أسمع. مهما قلت من حماقات، فإنى لا أسمعها.

مـــــاشـــــا: أوه، أنت غريبة يا أوليا. أحبه، إذن فهو قدرى. هكذا، إذن، نصيبى.. وهو يحبنى.. هذا كله مرعب. نعم؟ عيب هذا؟ **(تشد إيرينا من ذراعها وتضمها إليها)** أوه يا عزيزتى.. كيف ستمضى حياتنا، ترى إلام مصيرنا.. عندما تقرئين رواية ما يبدو لك ذلك كله قديما وجد مفهوم، وما إن تحبين بنفسك حتى ترين أنه لا أحد يعرف شيئا، وعلى كل واحد أن يقرر بنفسه.. يا شقيقتىَّ العزيزتين.. ها قد

اعترفت لكما، والآن سأصمت.. سأصبح الآن مثل مجنون جوجول.. صمتا.. صمتا[1]..

(يدخل أندريه، وخلفه فيرابونت)

أنـــــدريــــــه: **(بغضب)** ماذا تريد؟ أنا لا أفهم.

فــيرابــونــت: **(فى الباب، بفروغ صبر)** قلت يا أندريه سرجييش عشر مرات .

أنـــــدريــــــه: أولا أنا بالنسبة لك لست أندريه سرجييتش، بل صاحب السعادة!

فــيرابــونــت: رجال الإطفاء يا صاحب السعادة يرجون السماح لهم ، بالمرور من البستان للوصول إلى النهر. لأنهم يدورون يدورون حول المكان، تعذبوا تماما!

أنـــــدريــــــه: طيب. قل لهم طيب.

(فيرابونت يخرج)

أضجرونى. أين أولجا؟

(أولجا تظهر من خلف الستار)

جئت أطلب منك مفتاح الدولاب، لقد فقدت مفتاحى. لديك مفتاح صغير.

(أولجا تناوله المفتاح فى صمت. إيرينا تذهب إلى سريرها وراء الستار. صمت)

---

(١) الإشارة إلى قصة جوجول «مذكرات مجنون» حيث تتردد عبارة: «لا بأس، لا بأس.. صمتا». **المعرب**.

يا له من حريق ضخم! الآن بدأ يهدأ. يالشيطان، غاظنى فيرابونت هذا فقلت له شيئا أحمق.. صاحب السعادة..

(صمت)

مالك صامته يا أوليا؟

(صمت)

آن الأوان لأن تتركى عنك هذه الحماقات ولا تغضبى هكذا، بلا سبب.. أنت هنا يا ماشا، وإيرينا هنا، هذا رائع، فلنتصارح، مرة وإلى الأبد. ما الذى تأخذنه علىَّ؟ ماذا؟

أولجـــــــا: دعك من هذا يا أندريوشا. غدا نتصارح. **(بقلق)** يا لها من ليلة مضنية!

أنـــدريـــه: **(مرتبك للغاية)** اطمئنى. إننى أسألكن بكل برود أعصاب: ما الذى تأخذنه علىَّ؟ تكلمن بصراحة.

(صوت فيرشينين: «ترام.. تم.. تم!»)

مـــاشـــا: **(تنهض، بصوت عال)** ترا.. تا.. تا! **(لأولجا)** وداعا يا أوليا، فى رعاية الله. **(تمضى إلى ماوراء الستار وتقبل إيرينا)** نامى مطمئنة.. وداعا يا أندريه. اذهب، إنهما متعبتان.. غدا نتصارح.. **(تنصرف)**

أولجـــــــا: حقا يا أندريوشا، لنؤجله إلى الغد.. **(تذهب إلى ركنها وراء الستار)** آن أن ننام.

أنـــــدريــــه: سأقول كلمتين وأنصرف. حالا.. أولا: أنتن تأخذن شيئا ما على نتاشا، زوجتى، وأنا ألاحظ ذلك منذ يوم الزفاف. لو أردتن أن تعرفن رأيى إن نتاشا إنسانة رائعة، شريفة، صريحة ونبيلة. هذا هو رأيى. إننى أحب زوجتى وأحترمها، أتفهمن، أحترمها، وأطالب الآخرين أيضا باحترامها. أكرر، إنها إنسانة شريفة، نبيلة، وكل ما تبدينه من عدم رضى، فاعذرننى، هذا نزق..

(صمت)

وثانيا: يبدو وكأنكن غاضبات لأنى لم أصبح أستاذا، ولا أشتغل بالعلم. ولكننى أعمل فى المجلس المحلى، وأنا عضو إدارة، وأعتبر عملى هذا خدمة مقدسة وجليلة كخدمة العلم. إننى عضو إدارة المجلس المحلى، وأفخر بذلك، إذا أردتن أن تعرفن..

(صمت)

وثالثا.. مازالت معى الكمة. لقد رهنت البيت دون أن أستأذنكن.. أنا مخطئ فى ذلك، نعم، وأرجو المعذرة. دفعتنى إلى ذلك الديون.. خمسة وثلاثون ألفا.. أنا لم أعد ألعب القمار، من زمان، ولكن أهم ما أستطيع أن أقوله تبريرا لموقفى هو أنكن، الفتيات، تحصلن على معاش، أما أنا فلم يكن عندى.. دخل، كما يقال..

(صمت)

كـولـيـجـين: **(فى الباب)** أليست ماشا هنا؟ **(بقلق)** أين هى إذن؟ هذا غريب.. **(ينصرف)**

أنــــدريــــه: لا يسمعونني. نتاشا إنسانة رائعة، شريفة **(يذرع خشبة المسرح فى صمت، ثم يتوقف)** عندما تزوجت، ظننت أننا سنكون سعداء.. الكل سعداء.. ولكن يا إلهى.. **(يبكى)** يا شقيقاتى العزيزات، يا شقيقاتى الغاليات، لا تصدقننى، لا تصدقن.. **(يخرج)**

كـولـيـجـين: **(فى الباب، بقلق)** أين ماشا؟ أليست ماشا هنا؟ شىء عجيب. **(يخرج)**

(الناقوس يدق الخشبة خاوية)

إيــريــنــا: **(خلف الستار)** أوليا، من الذى يدق عل الأرضية؟

أولجـــــا: الدكتور إيفان رومانيتش. إنه سكران.

إيــريــنــا: يا لها من ليلة مزعجة!

(صمت)

أوليا! **(تطل من وراء الستار)** هل سمعت؟ اللواء سيأخذونه منا، ينقلونه إلى مكان بعيد.

أولجـــــا: هذه مجرد إشاعات.

إيــريــنــا: سنبقى وحدنا عندئذ.. أوليا!

أولجـــــا: ماذا؟

إيــريــنــا: يا عزيزتى، يا حبيبتى، إننى أحترم البارون، وأقدره، إنه شخص رائع، سأتزوجه، موافقة، لكن لنرحل إلى موسكو! أتوسل إليك، لنرحل! ليس فى الدنيا أفضل من موسكو! لنرحل يا أوليا، لنرحل!

(ســتار)

الفصل الرابع

(بستان قديم ملحق بمنزل آل بروزوروف. ممر طويل من أشجار الشوح، يرى فى نهايته نهر. فى الضفة الأخرى من النهر غابة. إلى اليمين شرفة المنزل. هنا، على طاولة، زجاجات وأكواب. من الواضح أن الحاضرين قد شربوا شمبانيا لتوهم. الساعة الثانية عشرة ظهرًا. من الشارع يمر بعض المارة إلى النهر عبر البستان من حين لآخر. يمر بسرعة حوالى خمسة جنود. تشيبيوتيكين فى مزاج منشرح لا يفارقه طوال هذا الفصل، يجلس فى مقعد فى البستان منتظرًا إلى حين يدعونه. يرتدى عمرة ويمسك بعصا. إيرينا، وكوليجين بوسام قلادة فى عنقه، بلا شوارب؛ وتوزنباخ، يقفون فى الشرفة ويودعون فيدوتيك ورودى اللذين يهبطان. الضابطان فى زى السفر).

توزنباخ: **(يتبادل القبلات مع فيدوتيك)** أنت طيب، كم عشنا فى وفاق. **(يتبادل القبلات مع رودى)** ثانية.. وداعا يا عزيزى!

إيرينا: إلى اللقاء!

فيدوتيك: ليس إلى اللقاء بل وداعا، لن نتقابل بعد أبدا!

كـولـيـجـيـن: من يدرى! **(يمسح عينيه، يبتسم)** ها أنذا قد بكيت.

إيـــريـــنـــا: سنلتقى يوما ما.

فـيـدوتـيـك: بعد عشر أو خمس عشرة سنة؟ ولكننا حينذاك لن نعرف بعضنا فى الغالب، وستتبادل التحية ببرود.. **(يلتقط صورة)** قفوا.. مرة ثانية، لآخر مرة.

رودى: **(يضم توزنباخ)** لن نلتقى بعد.. **(يقبل يد إيرينا)** شكرا على كل شىء، على كل شىء!

فـيـدوتـيـك: **(بأسى)** انتظر!

تـوزنـبـاخ: إن شاء الله نلتقى. اكتبا لنا. اكتبا ضرورى.

رودى: **(يلقى نظرة على البستان)** وداعا يا أشجار!
(يصيح) هوب.. هوب!
(صمت)
وداعا يا صدى!

كـولـيـجـيـن: احذرا أن تتزوجا فى بولندا.. الزوجة البولندية ستعانقك وتقول «كوخانى»[1]! **(يضحك)**

فـيـدوتـيـك: **(ينظر إلى الساعة)** بقى أقل من ساعة. من بطاريتنا لن يستقل الصندل سوى سوليونى، أما نحن فسنذهب مع وحدة الطابور. سترحل اليوم ثلاث بطاريات فوجا، وغدا ثلاث أخرى، ثم يحل فى المدينة الهدوء والسكينة.

---

(١) حبيبى (بالبولونية).

توزنباخ: والملل الرهيب.

رودى: وأين ماريا سرجييفنا؟

كوليجين: ماشا فى البستان.

فيدوتيك: ينبغى أن نودعها.

رودى: وداعا، ينبغى أن أذهب وإلا بكيت.. **(يعانق بسرعة توزنباخ وكوليجين، يقبل يد إيرينا)** قضينا هنا فترة رائعة..

فيدوتيك: **(لكوليجين)** هذا لك، للذكرى.. مفكرة بقلم.. سنذهب من هنا إلى النهر..

(يبتعدان، يتلفتان)

رودى: **(يصيح)** هوب.. هوب!

كوليجين: **(يصيح)** وداعا!

(فى عمق المسرح يلتقى فيدوتيك ورودى بماشا ويودعانها. تنصرف معهما).

إيرينا: ذهبا.. **(تجلس على أسفل درجات الشرفة)**

تشيبوتيكين: نسيا أن يودعانى.

إيرينا: وأنت، لماذا سكت؟

تشيبوتيكين: أنا أيضًا نسيت. على أى حال سأراهما قريبًا. غدا أرحل. نعم.. بقى لدىَّ يوم آخر. بعد عام سأحال إلى التقاعد، عندئذ سآتى إلى هنا ثانية، وأقضى بقية عمرى بجواركم.. لم يبق لى حتى المعاش سوى سنة واحدة..

(يضع الصحيفة فى جيبه، ويخرج أخرى) سآتى إليكم هنا فأغير حياتى تغييرا جذريًا. سأصبح وديعا.. مسالما؛ مستقيما..

إيـــريـــنـــا: أنت بحاجة إلى تغيير حياتك يا عزيزى. بطريقة ما.

تشيبـــوتيكين: نعم. أشعر. (يغنى بصوت خافت) ترا.. را.. بومبيا.. أنتِ يا حلوة يا..

كـولـيـجـيـن: إيفان رومانيتش لا يمكن إصلاحه! لا يمكن!

تشيبـــوتيكين: لو أتعلم على يديك. إذن لأمكن إصلاحى.

إيـــريـــنـــا: فيودور حلق شنبه. لا أطيق رؤيته!

كـولـجـيـن: وماذا؟

تشيبـــوتيكين: كان بودى أن أقول لك ماذا تشبه سحنتك الآن، لكنى لا أستطيع.

كـولـيـجـيـن: فليكن! هذا متبع. هذا modus vivendi [1] المدير عندنا بلا شنب، وأنا أيضًا، ما إن أصبحت مفتشًا حتى حلقته. أنا مبسوط. بشنب أم بلا شنب فأنا مبسوط بنفس الدرجة.. **(يجلس)**

(فى عمق المسرح أندريه يدفع عربة بها طفل نائم)

إيـــريـــنـــا: إيفان رومانيتش، يا عزيزى،أيها الحبيب، أنا قلقة للغاية. أنت كنت بالأمس فى المنتزه، خبرنى، ماذا حدث هناك؟

---

(١) نمط الحياة المتبع (باللاتينية فى الأصل).

تشيبيـــوتيكين: ماذا حدث؟ لا شيء. شيء تافه. **(يقرأ الجريدة)** سيان!

كـولـيـجـيـن: كما يقولون، فقد التقى سوليونى والبارون أمس فى المنتزه قرب المسرح..

تــوزنــبــاخ: كفاك! حقا، ما هذا.. **(يشيح بيده ويدخل إلى البيت)**

كـولـيـجـيـن: قرب المسرح.. وأخذ سوليونى يتحرش بالبارون، فلم يطق البارون صبرا وقال له شيئًا مهينا..

تشيبيـــوتيكين: لا أدرى. هراء كل هذا.

كـولـيـجـيـن: يقال إن سوليونى يعشق إيرينا وإنه أصبح يمقت البارون.. هذا مفهوم. إيرينا فتاة رائعة. إنها حتى تشبه ماشا، ومثلها متروية. لكن طبعك يا إيرينا ألطف. رغم أن طبع ماشا، عموما، هو أيضًا جيد جدا، أنا أحبها، ماشا.

(فى عمق البستان خلف المسرح تتردد: «أو! أو! هوب.. هوب!»)

إيـــريـــنـــا: **(تنتفض)** طوال اليوم يفزعوننى.

(صمت)

جهزت كل شىء، بعد الغداء أرسل حاجياتى. سنعقد قراننا أنا والبارون غدا، وغدا أيضًا نرحل إلى مصنع الطوب، وبعد غد أكون فى المدرسة، ستبدأ حياة جديدة. فكيف ستكون؟ عندما أديت امتحان المدرسات بكيت من الفرحة، من التأثر..

(صمت)

ستأتى الآن عربة لنقل الحاجيات..

كـولـيـجـيـن: هذا كله صحيح، ولكن لا يبدو جادا. مجرد أفكار، والجدى فيه قليل. وعموما، أتمنى لك من صميم قلبى.

تشيبيـــوتيكين: **(بتأثر)** يا رائعتى، يا حلوة.. يا غاليتى.. ابتعدت كثيرًا، من الصعب اللحاق بك. تخلفت أنا، مثل طير مهاجر أدركته الشيخوخة، فلا يقوى على الطيران. طيروا يا أحبائى، طيروا فى رعاية الله!

(صمت)

عبثًا حلقت شنبك يا فيودور إيليتش.

كــولــجــيــن: كفاك! **(يتنهد)** اليوم سيرحل العسكريون، ويعود كل شىء إلى سابق العهد. ومهما قيل، فإن ماشا امرأة طيبة، شريفة، وأنا أحبها جدا، وأشكر قدرى. الأقدار تختلف لدى الناس.. يعمل هنا فى الضرائب شخص يدعى كوظيريف. كان يدرس معى، وفصلوه من الصف الخامس فى المدرسة لأنه لم يستطع أبدا أن يفهم ut consecutivum [1]. وهو الآن يعيش فى فقر فظيع، ومريض، وعندما أقابله أقول له: «مرحبا يا ut consecutivum فيقول: نعم، فعلا consecutivum.. ويسعل. أما أنا فالحظ يحالفنى طول حياتى، أنا سعيد،

---

(١) إحدى قواعد تركيب الجملة فى اللغة اللاتينية. **المعرب**.

بل حتى لدىّ وسام ستانسلاف من الطبقة الثانية، وأنا نفسى أدرس الآن للآخرين هذه الـ ut consecutivum . طبعا أنا رجل ذكى، أذكى من كثيرين، ولكن السعادة ليست فى هذا..

(فى المنزل يعزفون على البيانو لحن «صلاة العذراء»[1])

إيــــريـــنــــا: فى مساء الغد لن أسمع «صلاة العذراء» هذه، ولن التقى مع بروتوبوبوف..

(صمت. بروتوبوبوف جالس هناك فى غرفة الجلوس. واليوم أيضًا جاء..)

كـولـيـجـيـن: ألم تأت الرئيسة بعد؟

(فى عمق المسرح تمر ماشا بهدوء، تتجول)

إيــــريـــنــــا: كلا. أرسلنا فى طلبها. آه لو تدرى كم تصعب علىَّ الحياة هنا وحدى، بدون أوليا.. إنها تعيش فى المدرسة. إنها رئيسة، طول النهار مشغولة بالعمل، أما أنا فوحدى، أشعر بالملل، ولا عمل عندى، وأمقت الغرفة التى أحيا فيها.. لقد قررت لنفسى: إذا لم يقدر لى أن أنتقل إلى موسكو، فليكن. إذن تلك مشيئة القدر. ما باليد حيلة.. كل شىء بإرادة الله، هذا صحيح. نيكولاى لفوفيتش طلب يدى..

---

(١) معزوفة للموسيقارة البولندية بدارجيفسكايا ـ برانوفسكايا (١٨٣٨ـ١٨٦٢). المعرب.

حسنا. فكرت وقبلت. إنه إنسان طيب. طيب، إلى
درجة مدهشة.. فكأنما نبت لروحى جناحان فجأة،
داخلنى المرح، وأحسست بخفة، فعاودتنى الرغبة
فى أن أعمل، وأعمل.. لكن بالأمس حدث شىء ما،
سرّ ما قد خيّم علّى..

تشيبـــوتيكين: هراء..

نـــتـــاشـــا: **(فى النافذة)** الرئيسة!

كـولـيـجـيـن: الرئيسة وصلت. هيا بنا.

(يدخل البيت مع إيرينا)

تشيبـــوتيكين: **(يقرأ الصحيفة، ويدندن بصوت خافت)** ترا.. را.. بومبيا.. أنتِ يا حلوة يا..

(ماشا تقترب، فى العمق أندريه يدفع عربة أطفال)

مـــاشـــا: جالس هنا، مرتاح..

تشيبـــوتيكين: وماذا؟

مـــاشـــا: **(تجلس)** لا شىء..

(صمت)

هل كنت تحب أمى؟

تشيبـــوتيكين: جدا.

مـــاشـــا: وهى، كانت تحبك؟

تشيبـــوتيكين: **(بعد صمت)** لم أعد أذكر.

مـــــاشـــــا: رجلى هنا؟ كانت طاهيتنا مارفا تتحدث عن زوجها الشرطى هكذا: رجلى.. رجلى هنا؟

تشيبـــوتيكين: كلا بعد.

مـــــاشـــــا: عندما تأخذ السعادة خطفا، قطعة قطعة، ثم بعد ذلك تفقدها، مثلى، تجد نفسك شيئا فشيئا قد أصبحت فظا، حقودا **(تشير إلى صدرها)** هنا يغلى.. **(تنظر إلى شقيقها أندريه الذى يدفع عربة الأطفال)** ها هو أندريه، شقيقنا.. ها هى الآمال الخائبة. آلاف الناس رفعوا الناقوس، وأنفق عليه من الجهد والمال الكثير، وإذا به يسقط فجأة ويتحطم. فجأة، بلا أى مقدمات. هكذا أندريه..

أنـــدريـــه: متى يهدأون أخيرا فى هذا البيت. يا للضجة.

تشيبـــوتيكين: قريبا. **(ينظر إلى ساعته ثم يملؤها. الساعة تدق)** ساعتى عتيقة، برنين.. البطارية الأولى والثانية والخامسة سترحل فى الواحدة تماما.

(صمت)

وأنا غدا.

أنـــدريـــه: نهائيا؟

تشيبـــوتيكين: لا أدرى. ربما أعود بعد عام. ولكن، الشيطان يعلم.. سيان..

(يسمع عزف على القيثار والكمان آت من بعيد)

أنـــدريـــه: ستصفر المدينة. كأنما سيضعون فى أذنيها سدادة.

(صمت)

حدث شيء ما أمس بجوار المسرح. الجميع يتحدثون عنه، وأنا لا أعرف.

تشيبوتيكين: لا شيء. حماقات.. سوليوني أخذ يتحرش بالبارون، فأحقد هذا عليه وأهانه، وانتهى الأمر بأن اضطر سوليوني أن يدعوه للمبارزة. **(ينظر إلى ساعته)** أعتقد حان الوقت.. في الثانية عشرة والنصف، في الغابة الأميرية، في تلك التي ترى من هنا وراء النهر.. طيخ.. طاخ **(يضحك)** سوليوني يظنّ نفسه ليرمنتوف، بل ويكتب أشعارا. ولكن بعيدا عن المزاح، هذه هي المبارزة الثالثة له.

ماشا: لمن؟

تشيبوتيكين: لسوليوني.

ماشا: والبارون؟

تشيبوتيكين: ما له البارون؟

(صمت)

ماشا: كل شيء اختلط في رأسي.. ومع ذلك لا يجوز السماح لهما. فهو قد يجرح البارون، أو حتى قد يقتله.

تشيبوتيكين: البارون إنسان طيب، ولكن بارونا أكثر أو بارونا أقل، أليس سيان؟ ليكن! سيان!

(في البستان صيحة: «آو! هوب.. هوب!»)

مهلاً. إنه سكفورتسوف يصيح، الشاهد. جالس فى القارب.

(صمت)

أنـــدريـــه:: أعتقد أن المشاركة فى المبارزة وحضورها، حتى ولو كطبيب، عمل لا أخلاقى.

تشيبـــوتيكين: هذا يبدو فقط.. لا شىء فى الدنيا، نحن غير موجودين، بل يبدو فقط أننا موجودون.. ثم أليس سيان!

مـــاشـــا: هكذا طوال النهار يتحدثون، يتحدثون.. **(تسير)** نعيش فى جو لا تدرى فيه إلا والثلج يهطل فجأة، ثم إذا بهذه الأحاديث.. **(تتوقف عن السير)** لن أدخل المنزل، لا أستطيع دخوله.. عندما يحضر فيرشينين أخبرونى.. **(تسير فى الممر)** الطيور المهاجرة بدأت ترحل.. **(تنظر إلى أعلى)** بجع أو أوز.. أيتها العزيزات.. حبيباتى السعيدات..

(يخرج)

أنـــدريـــه: سيخلو بيتنا. سيرحل الضباط، وسترحل أنت، شقيقتى ستتزوج، وسأبقى وحدى فى المنزل.

تشيبـــوتيكين: وزوجتك؟

(فيرابونت يدخل بأوراق)

أنـــدريـــه: الزوجة هى الزوجة. إنها مستقيمة، شريفة ولنقل طيبة، ومع ذلك ففيها شىء يحط منها إلى مستوى حيوان تافه،

أعمى، خشن الملمس. إنها على أى حال ليست إنسانا. أقول لك هذا باعتبارك صديقى، الشخص الوحيد الذى أستطيع أن أفتح له قلبى. أنا أحب نتاشا، هذا صحيح، ولكنها تبدو لى أحيانا مبتذلة إلى درجة مذهلة، وعندئذ أرتبك، ولا أفهم لماذا وعلام أحبها هكذا، أو على الأقل، كنت أحبها..

تشيبيــــوتيكين: **(ينهض)** إننى مسافر غدا يا أخى، وربما لن نلتقى بعد أبدا، فإليك نصيحتى إذن. اسمع. البس القبعة، وخذ العصا فى يدك وارحل.. ارحل وامش، امش ولا تلتفت. وكلما ابتعدت كان هذا أفضل.

(سوليـونى يمـر فى عمـق المسـرح مـع ضـابطين. يرى تشيبوتيكين فيتجه إليه. الضابطـان يواصلان سيرهما).

ســولـيـونـى: يا دكتور، حان الوقت! الساعة منتصف الواحدة **(يحيى أندريه)**

تشيبيــــوتيكين: حالا. أضجرتمونى. جميعًا. **(لأندريه)** لو سأل عنى أحد يا أندريـوشـا، فقل إننى حالا.. **(يتنهد)** أوه، أوه!

ســولـيـونـى: من قبل أن يفتح فاه دهشة هاجمه الدب ونهشه. **(يسير معه)** ما لك تزحر أيها العجوز؟

تشيبيــــوتيكين: كفى!

ســولـيـونـى: كيف الصحة؟

تشيبـــوتيكين: **(بغضب)** مثل المرأة القبيحة.

سـولـيـونـى: عبثا يقلق العجوز. لن أسمح لنفسى إلا بالقليل، فقط سأرديه كدجاجة برية. **(يخرج قارورة عطر ويسكب منها على يديه)** سكبت اليوم قارورة، ومع ذلك ما زالت رائحتها تفوح. من يدى تفوح رائحة جثة.

(صمت)

هكذا.. أتذكر هذه القصيدة؟ مضطربا يروم عاصفة، كما لو أن فى العواصف الهدوء..

تشيبـــوتيكين: نعم. من قبل أن يفتح فاه دهشة هاجمه الدب ونهشه.

(يخرج مع سوليونى)

(تسمع صيحات: «هوب.. هوب! آو». يدخل أندريه وفيرابونت)

فـيـرابـونـت: ألا توقعون الأوراق..

أنـــدريـــه: **(بعصبية)** ابتعد عنى! ابتعد! أرجوك! **(يخرج دافعا عربة الأطفال)**

فـيـرابـونـت: ولكن الأوراق وجدت لكى يوقعوا عليها **(يمضى إلى عمق المسرح)**

(تدخل إيرينا وتوزنباخ فى قبعة من القش، كوليجين يمر عبر المسرح صائحا: «يا ماشا! آو!»)

تـوزنـبـاخ: أظن أن هذا هو الشخص الوحيد فى المدينة الذى يسره رحيل العسكريين.

إيـــريـــنـــا: هذا مفهوم.

(صمت)

ستخلو مدينتنا الآن.

تـــوزنـــبـــاخ: يا عزيزتى، سأعود حالا.

إيـــريـــنـــا: إلى أين؟

تـــوزنـــبـــاخ: عندى مشوار فى المدينة ثم.. سأودع الزملاء.

إيـــريـــنـــا: ليس صحيحا.. نيكولاى، لماذا أنت شارد الذهن اليوم؟

(صمت)

ماذا حدث أمس عند المسرح؟

تـــوزنـــبـــاخ: **(بحركة متعجلة)** بعد ساعة سأعود، وسأكون ثانية بجوارك. **(يقبل يديها)** يا رائعتى.. **(يتفرس فى وجهها)** خمس سنوات وأنا أحبك ولكنى لا أستطيع أن أتعود، وتبدين لى أروع فأروع. يا لهذا الشعر الساحر البديع! يا للعينين! سأحملك غدا من هنا، وسوف نعمل، سنكون أغنياء، وتتحقق أحلامى. ستكونين سعيدة. شىء واحد فقط، شىء واحد: أنت لا تحبيننى!

إيـــريـــنـــا: لا سلطان لى على قلبى! سأكون زوجتك الوفية، المطيعة، ولكن بلا حب، ما العمل! **(تبكى)** أنا لم أحب فى حياتى ولا مرة. أوه، كم كنت أحلم بالحب، أحلم من زمان، أياما وليالى، ولكن روحى كمعزف ثمين مغلق ومفتاحه فقد.

(صمت)

نظراتك قلقة.

تــوزنــبـــاخ: أنا لم أنم طول الليل. ليس فى حياتى أى شىء رهيب يمكن أن يخيفنى، فقط هذا المفتاح المفقود هو الذى يمزق روحى ويؤرقنى. قولى لى شيئًا ما.

(صمت)

قولى لى شيئًا ما..

إيـــريـــنـــا: ماذا؟ ماذا أقول؟ كل ما حولنا غامض، الأشجار القديمة تقف صامتةً.. **(تضع رأسها على صدره)**.

تــوزنــبـــاخ: قولى لى شيئًا ما.

إيـــريـــنـــا: ماذا؟ ماذا أقول؟ ماذا؟

تــوزنــبـــاخ: أى شىء

إيـــريـــنـــا: كفى! كفى!

(صمت)

تــوزنــبـــاخ: يا لها من أشياء تافهه، يا لها من تفاصيل حمقاء تكتسب أحيانا أهمية فى الحياة، فجأة بلا سبب. وتسخر منها كسابق العهد، وتعتبرها تافهة، ومع ذلك تسير وتشعر أنه لا قدرة لك على التوقف. أوه، لن نتحدث عن هذا! إننى أشعر بالمرح. كأنما لأول مرة فى حياتى أرى أشجار الشوح والقيقب والبتولا هذه، وكل شىء ينظر إلىَّ بفضول وينتظر. يا لها من أشجار جميلة، وأى حياة جميلة، فى الحقيقة، ينبغى أن تكون حولها!

(صيحة: «آو! هوب.. هوب»)

ينبغى أن أذهب، حان الوقت.. هذه شجرة جفت، ومع

ذلك فهى تتمايل فى الريح مع الأخريات. وكذلك يبدو لى، أننى حتى لو مت، فسوف أظل أشارك فى الحياة بشكل أو بآخر. وداعا يا حبيبتى.. **(يقبل يديها)**. أوراقك التى أعطيتنيها موجودة على مكتبى، تحت التقويم.

إيــــريــــنــــا: سأذهب معك.

تــوزنــبــاخ: **(بقلق)** كلا! كلا! **(يذهب بسرعة، يتوقف فى الممر)** إيرينا!

إيــــريــــنــــا: ماذا؟

تــوزنــبــاخ: **(لا يدرى ماذا يقول)** أنا لم أشرب القهوة اليوم. قولى لهم أن يعدوها.. **(يخرج بسرعة)**.

(إيرينا تقف مستغرقة فى التفكير، ثم تذهب إلى عمق المسرح وتجلس فى الأرجوحة. يدخل أندريه بعربة الأطفال. يظهر فيرابونت).

فــيــرابــونــت: أندريه سرجييتش، هذه ليست أوراقى، إنها أوراق حكومية. أنا لم أخترعها.

أنــــدريــــه: أوه، أين ماضىّ، إلى أين ذهب، عندما كنت شابا، مرحا، ذكيا، عندما كانت أحلامى وأفكارى جميلة، عندما كان الأمل يضىء حاضرى ومستقبلى؟ وما السبب فى أننا، ما إن نبدأ الحياة، حتى نصبح مملين، باهتين، غير ممتعين، كسولين لا مبالين، بلا فائدة، تعساء.. مدينتنا تقوم منذ مائتى سنة، وفيها مائة ألف شخص، ولا أحد

منهم إلا ويشبه الآخرين، ولا متحمس واحد، لا فى الماضى ولا فى الحاضر، ولا عالم واحد، ولا مصور واحد، ولا شخصية شهيرة ولو قليلا يمكن أن تثير الحسد أو الرغبة الجارفة فى الاقتداء بها. فقط يأكلون، ويشربون، وينامون، ثم يموتون.. ويولد آخرون، وأيضًا يأكلون، ويشربون، وينامون، ولكى لا يتبلدوا من الملل ينوعون حياتهم بالأقاويل الدنيئة، وبالفودكا والقماروالمشاكسات، والزوجات يخنّ أزواجهن، والأزواج يكذبون، ويتظاهرون بأنهم لا يرون شيئًا ولا يسمعون شيئًا، والتأثير الوضيع الطاغى يقهر الأطفال، ويطفىء فيهم الشرارة الإلهية، فيصبحون أمواتا بؤساء يشبهون بعضهم بعضا، مثل آبائهم وأمهاتهم... **(لفيرابونت بجفاء)** ماذا تريد؟

فيرابونت: هه؟ توقيع الأوراق.

أندريه: كم أضجرتنى.

فيرابونت: **(مقدما الأوراق)** بواب مصلحة الضرائب قال منذ قليل.. إن البرد، كما يقول، وصل فى بطرسبرج إلى مائتى درجة تحت الصفر.

أندريه: الحاضر بغيض، ولكن عندما أفكر فى المستقبل فما أروع ذلك! أشعر بالخفة والرحابة.. ويشع النور فى البعيد، فأرى الحرية، أرى كيف نتحرر أنا وأولادى

من الفراغ، من الكفاس، من الأوز المحشو بالكرنب، من النوم بعد الغداء، من الطفيلية الدنيئة..

فيرابونت: ومات ألفا شخص كما يقول. والناس فزعوا جدا. إما فى بطرسبرج أو فى موسكو، لا أذكر.

أندريه: **(يستولى عليه شعور رقيق)** يا شقيقاتى الغاليات، يا شقيقاتى الرائعات! **(من خلال الدموع)** ماشا يا أختاه..

نتاشا: **(فى النافذة)** من هنا يرفع صوته هكذا؟ أهو أنت يا أندريوشا؟ ستوقظ صوفى Il ne faut pas faire du bruit, la Sophie est dormée déjà. Vous êtes un ours.[1] **(تغضب)** إذا كنت تريد أن تتحدث فلتعط العربة بالطفل لشخص آخر. فيرابونت، خذ العربة من السيد!

فيرابونت: حاضر. **(يأخذ العربة)**.

أندريه: **(محرجا)** إننى أتحدث بصوت خافت.

نتاشا: **(خلف النافذة تلاطف ابنها)** بوبيك! بوبيك يا شقى! بوبيك يا وحش!

أندريه: **(ينظر فى الأوراق)** حسنا، سأبحثها، وسأوقع ما هو مطلوب، وأنت ستعود بها إلى الإدارة.. **(يدخل البيت وهو يقرأ الأوراق. فيرابونت يدفع العربة)**

---

(١) لا تثر ضجة، فصوفى نائمة. أنت دب. (بفرنسية غير سليمة).

نـــتـــاشـــا: **(خلف النافذة)** بوبيك، ما اسم ماما يا بوبيك؟ يا حبيبى، يا حبيبى! ومن هذه؟ هذه عمتك أوليا. قل لعمتك: مرحبا يا أوليا!

(موسيقيان متجولان، رجل وفتاة، يعزفان على الكمان والقيثـار. يخـرج مـن البيـت فيرشينيـن وأولجـا وأنفيسـا، ويصغون فى صمت نحو دقيقة. تقترب منهم إيرينا).

أولـــجـــا: بستاننا مثل السوق، الكل يمر منه، مشيا وركوبا. يا دادة أعطى هؤلاء العازفين شيئا..

أنـــفـــيـــســـا: **(تمنح العازفين)** الله يسهل لكم يا أولادى. **(العازفان ينحنيان وينصرفان)** ناس مساكين. من الشبع لن تعزف. **(لإرينا)** مرحبا يا إيريشا! **(تقبلها)** إيه يا بنتى، كيف أصبحت أعيش! عيشة عظيمة! أسكن يا حبيبتى فى المدرسة، فى شقة ميرى، مع أوليا.. هكذا قدّر الله لى فى آخر العمر. أستغفر الله، لم أعش أبدا مثل هذه العيشة.. شقة كبيرة، ميرى، وعندى غرفة كاملة، وسرير. كله ميرى. أصحو فى الليل و.. يا ربى، ياسيدتى العذراء، لا أحد أسعد منى!

فيـــرشينيـــن: **(ينظر إلى الساعة)** سنرحل الآن يا أولجا سرجييفنا. علّى أن أذهب.

(صمت)

أتمنى لك كل خير... أين ماريا سرجييفنا؟

إيـــريـــنـــا: في مكان ما في الحديقة. سأذهب وأبحث عنها.

فيـــرشينيـــن: لو تكرمت. أنا مستعجل.

أنـــفـــيـــســـا: وأنا أيضًا سأبحث عنها. **(تصيح)** ماشنكا، آو!

(تمضي مع إيرينا إلى عمق البستان)

آو.. آو!

فيـــرشينيـــن: لكل شيء نهاية. ها نحن نفترق. **(ينظر إلى الساعة)** أقامت لنا المدينة ما يشبه مائدة الإفطار، وشربنا شمبانيا، وألقى رئيس المدينة خطبة، وكنت آكل وأسمع، لكن قلبي كان هنا، عندكم..**(يلقى نظرة على البستان)** تعودت عليكم.

أولـــجـــا: ترى هل سنتقابل ثانية في يوم ما؟

فيـــرشينيـــن: لا أظن

(صمت)

زوجتي وابنتاي سيبقين هنا حوالي شهرين آخرين، أرجوك إذا حدث شيء، أو احتجن إلى شيء..

أولـــجـــا: نعم نعم، طبعا. اطمئن.

(صمت)

غدا لن يكون في المدينة عسكري واحد، وسيصبح كل شيء ذكرى، وبالطبع ستمضي حياتنا على نحو جديد..

(صمت)

كل شيء يجرى على غير ما نريد. أنا لم أرد أن أكون رئيسة، ومع ذلك صرت. وإذن فلن نذهب إلى موسكو..

فيـــــرشينيـــن: طيب.. شكرا لكم على كل شيء. وعفوا إذا كان قد بدر منى شيء.. لقد تكلمت كثيرا، كثيرا جدا، فلتغفروا لى هذا أيضًا، ولا تذكرونى بسوء.

أولـــــجـــــا: **(تمسح عينيها)** ما لها ماشا لا تأتى ..

فيـــــرشينيـــن: ماذا أقول لك فى الوداع؟ عن أى شيء أتفلسف؟.. **(يضحك)** الحياة قاسية. إنها تبدو للكثيرين منا صماء لا أمل فيها، إلا أنها، وينبغى أن نعترف، تصبح أوضح وأرحم. وأعتقد أنه ليس ببعيد ذلك اليوم الذى ستصبح فيه واضحة تماما. **(ينظر إلى الساعة)** حان الوقت، علىَّ أن أذهب! فى السابق كانت البشرية مشغولة بالحروب، تملأ كل كيانها بالحملات، والغزوات، والانتصارات، أما الآن فقد اندثر كل ذلك، مخلفا وراءه مكانا ضخما خاويا لا يوجد حتى الآن ما يملأه. والبشرية تبحث بحماسة، وبالطبع ستجد. آه، لو فقط بسرعة!

(صمت)

أتدرين، لو أضيفت إلى حب العمل المعرفة، وإلى المعرفة حب العمل. **(ينظر إلى الساعة)** ولكن علىَّ أن أذهب..

أولـــــجـــــا: ها هى قادمة.

(تدخل ماشا)

فيـــــرشينيـــن: جئت أودع..

(أولجا تبتعد قليلا لكى لا تعوقهما عن الوداع)

مـــــاشـــــا: **(تحدق فى وجهه)** وداعا..

(قبلة طويلة)

أولـــــجـــــا: كفى، كفى..

(ماشا تنتحب بقوة)

فيـــــرشينيـــن: اكتبى.. لا تنسينى! اتركينى.. آن الأوان.. يا أولجا سرجييفنا، أمسكيها، آن لى أن أذهب.. حان الوقت.. تأخرت.. **(متأثرا يقبل يدى أولجا، ثم يضم ماشا ثانية وينصرف بسرعة)**

أولـــــجـــــا: كفى يا ماشا، كفى يا عزيزتى..

(يدخل كوليجين)

كـولـيـجـيـن: **(خجلا)** لا بأس، دعيها تبكى، دعيها.. ماشا عزيزتى، ماشا حبيبتى.. أنت زوجتى، وأنا سعيد، مهما كان هناك.. أنا لا أشكو، ولا أوجه إليك أى لوم.. وها هى أوليا شاهدة.. سنبدأ الحياة ثانية كما فى الماضى، ولن أقول لك كلمة واحدة، ولا تلميح..

مـــــاشـــــا: **(تكتم النحيب)** بلوطة خضراء عند شاطئ الأحلام، فى جذعها سلسلة من الذهب.. فى جذعها سلسلة

من الذهب.. إننى أجن.. بلوطة خضراء.. عند شاطئ الأحلام..

أولـــجـــا: أهدئى يا ماشا.. أهدئى.. أعطها ماء.

مـــاشـــا: أنا لم أعد أبكى..

كـولـيـجـيـن: لم تعد تبكى.. إنها طيبة..

(تسمع طلقة بعيدة مكتومة)

مـــاشـــا: بلوطة خضراء عند شاطئ الأحلام، فى جذعها سلسلة من الذهب.. قطة خضراء.. بلوطة خضراء.. أنا أخلط.. **(تشرب ماء)** حياة فاشلة.. لا أريد بعد الآن شيئا.. سأهدأ الآن.. سيان.. ما معنى عند شاطئ الأحلام؟ لماذا تدور هذه الكلمة فى رأسى؟ أفكارى مضطربة.

(تدخل إيرينا)

أولـــجـــا: اهدئى يا ماشا. نعم، شاطرة.. هيا إلى الغرفة.

مـــاشـــا: **(بغضب)** لن أذهب إلى هناك. **(تنتحب ولكنها تتوقف فورا)** أنا لم أعد أدخل البيت، ولن أدخله..

إيـــريـــنـــا: هيا نجلس معا، ولو فى صمت. غدا أنا سأرحل..

(صمت)

كـولـيـجـيـن: بالأمس انتزعت من أحد الأولاد فى الصف الثالث هذا الشارب واللحية.. **(يضع الشارب واللحية)** أشبه

مدرس اللغة الألمانية.. (**يضحك**) أليس كذلك؟ مضحكون هؤلاء الأولاد.

مـــاشـــا: حقا تشبه مدرسكم الألمانى.

أولـــجـــا: (**تضحك**) نعم.

(ماشا تبكى)

إيـــريـــنـــا: كفاك يا ماشا!

كـولـيـجـيـن: أشبهه جدا..

(تدخل نتاشا)

نـــتـــاشـــا: (**للخادم**) ماذا؟ صوفى سيجلس معها بروتوبوبوف، ميخائل إيفانيتش، أما بوبيك فلينزهه أندريه سرجيتش فى العربة. ما أكثر المشاغل مع الأولاد.. (**لإيرينا**) سترحلين غدا يا إيرينا، يا للأسف. ابقى ولو أسبوعا آخر. (**ترى كوليجين فتصرخ. يضحك وينزع عنه الشارب واللحية**) كم أفزعتنى، أعوذ بالله! (**لإيرينا**) أنا تعودت عليك، فهل تظنين أن فراقك سيكون سهلا علىَّ؟ سآمر بنقل أندريه إلى غرفتك مع كمانه، فلميزِّك هناك! وفى غرفته نسكن صوفى. إنها طفل ساحر، بديع! يا لها من صبية! اليوم نظرت إلىّ بعينيها وقالت «ماما»!

كـولـيـجـيـن: طفلة رائعة، هذا صحيح.

نـــتـــاشـــا: إذن غدا سأبقى وحدى هنا (**تتنهد**) سآمر قبل كل شيء بقطع أشجار الشوح فى الممر، ثم شجرة القيقب هذه.

إنها تبدو فى المساء رهيبة، قبيحة.. (**لإيرينا**) يا عزيزتى، هذا الحزام لا يليق عليك أبدا.. هذه قلة ذوق. الأنسب شيء ما فاتح. وهنا سآمر بغرس زهور، زهور فى كل مكان، وستكون رائحة.. (**بصرامة**) لماذا هنا شوكة ملقاة على الأريكة، إنى أسألك؟ (**تصيح**) اخرس!

كـولـيـجـيـن: هاجت وماجت!

(خلف المسرح تعزف الموسيقى لحن مارش، الجميع ينصتون)

أولـــجـــا: يرحلون.

(يدخل تشيبـــوتيكين)

مـــاشـــا: رجالنا يرحلون. حسنا.. طريق السلامة! (**لزوجها**) لنعد إلى البيت.. أين قبعتى وإزارى..

كـولـيـجـيـن: حملتها إلى البيت.. سأحضرها حالا. (**يدخل البيت**)

أولـــجـــا: نعم، الآن يمكن أن نعود إلى بيوتنا. آن الأوان.

تشيبـــوتيكين: أولجا سرجييفنا!

أولـــجـــا: ماذا؟

(صمت)

ماذا؟

تشيبـــوتيكين: لا شيء.. لا أدرى كيف أخبرك.. (**يهمس فى أذنها**)

أولـــجـــا: (**مرتاعة**) لا يمكن!

تشيبـــوتيكين: نعم.. يا لها من حكاية.. أنا تعبت، تعذبت، لا أريد أن أتكلم بعد.. (**بأسى**) وعموما، فالأمر سيان!

مـــــاشـــــا: ماذا حدث؟

أولـــــجـــــا: **(تضم إيرينا)** يا له من يوم رهيب.. لا أدرى كيف أخبرك يا حبيبتى..

إيـــريـــنـــا: ماذا؟ قولوا بسرعة، ماذا؟ أتوسل إليكم! (تبكى)

تشيبـــوتيكين: الآن، فى المبارزة، قتل البارون.

إيـــريـــنـــا: كنت أعرف، كنت أعرف..

تشيبـــوتيكين: **(يجلس على الأريكة فى عمق المسرح)** تعبت.. **(يخرج الصحيفة من جيبه)** فليبكين قليلا.. **(يدندن بصوت خافت)** ترا .. را.. بومبيا، أنت يا حلوة يا.. أليس سيان!

(الشقيقات الثلاث يقفن ملتصقات بعضهن ببعض)

مـــــاشـــــا: أوه، ما أجمل عزف الموسيقى! إنهم يرحلون عنا، أحدهم رحل نهائيًا، رحل إلى الأبد، وسنبقى وحدنا، لكى نبدأ حياتنا من جديد. ينبغى أن نعيش..

إيـــريـــنـــا: **(تضع رأسها على صدر أولجا)** سيأتى عهد ويعرف الجميع لأى غرض كان هذا كله، ولماذا هذه الآلام، لن تكون هناك أسرار، أما الآن فينبغى أن نعيش.. ينبغى أن نعمل، نعمل فقط! غدا سأذهب وحدى، سوف أُعلِّم فى المدرسة، وسأهب حياتى كلها لمن هم، ربما، فى حاجة إليها. الآن خريف، وقريبا يأتى الشتاء ويغطى الثلج الأرض، وأنا سوف أعمل، سوف أعمل..

أولـــــجـــــا: **(تضم شقيقتيها)** كم تعزف الموسيقى بمرح وحيوية،

فأرغب فى الحياة! أوه، يا إلهى! سيمر زمن ونرحل نحن أيضا إلى الأبد، وسينسانا الناس، سينسون ملامحنا وأصواتنا وكم كان عددنا، لكن آلامنا ستصبح أفراحا لمن سيعيشون بعدنا، وستحل على الأرض المسرة والسلام، وسيذكرون بالخير ويباركون أولئك الذين يعيشون الآن. يا شقيقتىَّ العزيزتين، حياتنا لم تنته بعد. سوف نعيش! كم تعزف الموسيقى بمرح، بفرحة ويبدو وكأنما بعد قليل سنعرف لماذا نعيش، لماذا نتعذب.. لو أننا ندرى، آه لو ندرى!

(يخفت عزف الموسيقى رويدا رويدا. كوليجين يأتى مرحا ومبتسما وهو يحمل القبعة والإزار، أندريه يدفع العربة وبوبيك جالس فيها).

تشيبيـــوتيكين: **(يدندن بصوت خافت)** ترا.. را.. بومبيا، يا حلوة يا.. **(يقرأ الصحيفة)** سيان! سيان!

أولـــــجـــــا: لو أننا ندرى، لو أننا ندرى!

(ستار)